Mariam
Turkan

مریم تورکان

کوکب آخر

مجموعة قصصيّة

کوکب آخر

مریم تورکان

اسم العمل: كوكب آخر

نوع العمل: مجموعة قصصيّة

اسم الكاتبة: مريم توركان

تدقيق لغوي: مريم توركان

تصميم الغلاف: مريم توركان

تنسيق داخلي: مريم توركان

الإهداء

إلى قلوبٍ أوجعها الصبر، فاحتوت آلامها،

وفوّضتْ للَّهِ أمرها.. لا تحزنوا إنَّ اللَّهَ معنا.

مريم توركان

نـانـي ونِصفِها الثانـي

أخشى على نفسي من الاعتيادِ أميرتاي، فبعدَ أنْ كُنتُ وحيدة بائسة، أضحى لديَّ فتاتانِ من أجملِ الفتيات، ليتكَ حَيٌّ عيسى، لتَرى ثِمارَكَ بعدَ أنْ كَبُرَتْ وصارتْ تمشي على رِجلين.

اِحتضنتها نـانـي بعدما قَبَّلَتْ جبينـها، بينما ندى تقولُ بطريقتها الفُكاهية: أضحيتِ أنيسة وبائسة نوال، ثُمَّ ضحكنَّ.

ذهبتْ نـانـي إلى المُستشفى بعدما أعدَّتْ الإفطار لأُمّها وأُختها الصغيرة ندى، وما أنْ وصلتْ حتّى رأتْ جمعًا من النَّاسِ رغم أنَّ الوقتَ لا يزال مُبّكرًا، سألتْ المُساعِدة فأخبرتها أنَّهم لا يأتونَ مُبّكرًا هكذا، وبهذهِ الأعداد إلَّا أيَّام عملها.

تبسمتْ لها ناني، وألقتْ عليهم التحيّة، ثُمَّ دلفتْ غُرفة الفحص، بينما المُساعِدة تُنّظم المرضى، ليكونَ الدخول بأسبقيةِ الحضور.

مَرّتْ ساعتانِ وقد أنهتْ ناني عملها بعدَ فحصِ آخرِ المرضى، قامتْ بتدبيلِ زيّ العمل بزيّها، ثُمَّ ذهبتْ بعدما أكدتْ على ليلى الترأُف بحالِ المرضى، وعدم أخذ أموال منهم غير ثمن تذكرة الفحص.

هاتفتها نوال لتُخبرها أنَّ ندى قد أتتْ من المدرسة، لذا فعليها أنْ تعودَ إلى البيتِ دونَ المرور على مدرسةِ ندى كَالعادة.

أصابَ القلقُ قلبها، فموعد اِنتهاء اليوم الدراسي لم يَحِن بعد، أخذتْ تُفكّر حتّى أوصلها سائق إحدى سيّارات الأُجرة إلى البيت.

دسّتْ مِفتاحها بثُقبِ الباب، وأسرعتْ للإطمئنانِ على أُختها، طمأنتها أُمّها أنَّها بخير، لكنَّ إحدى زميلاتها قد حَدَثَ لها مكروه، ثُمَّ أخبرتها بما حَدث.

دلفتْ ناني غُرفةَ ندى لتوبّخها، لمعرفتها بزميلاتٍ كَتلكَ التي حَدَثَ لها مكروه، تفاجأتْ بردِّ ندى عليها، ودفاعها عن زميلتها، بل ونعتها بالضحية، أخذتْ ناني توضّح لها وتساءلتْ: كيفَ لفتاةٍ بعُمرِ الخامسةَ عشرَ أنْ تحمل بطريقةٍ غير شرعية؟

بل إنَّ الطريقةَ الشرعية التي يُمكنُها أنْ تحملَ بها (الزواج) لم تُكمِل سِنّها المطلوبة، التي أقرّها القانون!

أينَ الأبوينِ من ضياعِ شرف بُنيّتهما؟

بل أينَ هُما من ضياعها هي؟

طلبتْ من ندى أنْ تقطعَ علاقتها بتلكَ الفتاة، ولتُركز في دراستها، لكنَّ ندى قد أخبرتها أنَّها لن تتخلّى عنها، بعدَ أنْ تخلّى عنها مَن فعلَ بِها ما فعل.

شَعرتْ ناني بدوارٍ فدلفتْ غُرفتها لتستريحَ بعض الوقت، بينما نوال تلوم ندى على قِلةِ اِحترامها لكلامِ أُختها، التي كانتْ لها أبًا حينَ ماتَ أبوهما، وأمرتها بتقديمِ الإعتذارِ لها، والإنصياعِ لأمرها.

نهضتْ من فِراشها بعدما ذهبَ الدوار عنها، لتَرى ندى تبتسم لها قبلَ أنْ تُقدّم اِعتذارها، وتُبلغها بأنَّ ما طلبتهُ سيُنّفذ، ثُمَّ عانقتها.

رنَّ هاتفها، ردَّت

فإذ بيوسف قد عادَ من سفرهِ مُنذُ البارحة، اِستأذنَ في القدومِ إليهنَّ، أَذِنَتْ لهُ وذكّرتهُ بألَّا ينسَ هديتها، ضاحكها قبلَ أنْ يُنهي المُهاتفة.

فَرِحَتْ ناني بعودةِ خطيبها يوسف، حُبّ عمرها، وزميل دراستها على مدى سنواتها الطِوال، ها قد أَذِنَ اللَّهُ لقلبها الحزين بالفرح، ولرَّوحها بالسَكينة، ولنفسها بالإطمئنان، فموعد زفافها أوشكَ أنْ يَحين.

فَرِحَتْ نوال بسماعها الخبر الجميل، وراحتْ لتُعِدَّ لهُ ما يُفضّل من الطعام.

أخذتْ ندى ثمن الدرس وذهبتْ، لكنَّها لم تذهب إلى الدرس، بل ذهبتْ إلى بيتِ زميلتها نور، لتُفكّرَ معها في حلٍّ يُخرجها ممّا هي فيه.

سألتها عن وليد الذي تركها بعدما أخذَ منها ما أخذ، تاركًا لها بعضًا منهُ بينَ أحشائها، أجابتها بأنَّهُ قد تَمّلصَ من فِعلهِ بِها، بل قامَ بتهديدها بفضحها إنْ هي أخبرتْ أحد.

أخذتْ ندى تُهوّن عليها، لكنَّ الخوفَ يعتريها؛ فقد أتمّتْ شهرها الرابع من حملها، وستكبُر بطنها في القادمِ من الأيَّام، وسيُفضح أمرها ومن ثَمَّ ستُذبَح.

اِقترحتْ عليها ندى أنْ تُخبرَ أُمّها، وطمأنتها بأنَّ أُمّها لن تُخبرَ أبيها؛ خشيةَ أنْ يقتلَ ابن أُختها وليد.

فَكَّرَتْ نور في اِقتراحِ ندى ورأتهُ عَين الصواب، فوليد هو مَن غَدَرَ بِها، ولم يُراعي صِلة القرابة بينهما، بل زادَ في فُجورهِ حينَ هدّدها بفضحِ أمرها والتنّصُل من جنينها.

عادتْ ندى لتَرى يوسف قد أتى مُحمّلًا بالهدايا، سألها عن مُستواها الدراسي، ثُمَّ أعطاها حقيبة مملوءة بالهدايا خِصيصًا لها، سُرَّتْ بِها ودلفتْ غُرفتها.

أخذَ يوسف يُحدّد موعد الزفاف مع نوال بحضرةِ ناني، وأخبرها أنَّهُ سيُسافِر بناني إلى حيثُ يعمل ويُقيم بإحدى الدول العربية، ثُمَّ سيُرسل لها هي وندى دعوة ليُقيما معهما.

فَرِحَتْ نوال وأكدتْ أنَّهُ قرار صائب، خاصّةً بعدَ أنْ عَمّ الغلاء أرجاء البلاد، وأضحى الجُنيه لا قيمةَ له، حتّى وإنْ عَمِلتْ باقي عُمرها فلن تستطيع اِدّخار بعض المال، أمَّا ما نويتُما فِعلهُ فهو الصواب، كي تستطيعا توفير حياة هانئة كريمة لأولادكما.

مضى شهرٌ وقد تَمَّ عقد القرآن، وأتمَّ يوسف تجهيز شقتهُ ليُقيما بِها بعض الأيَّامِ قبلَ السفر، فَرِحَتْ نوال لفرحِ ابنتها، التي حَلّتْ محلّ أبيها عيسى _رَحِمَهُ اللَّه_ فقد كافحتْ في دراستها وحياتها، فعَمِلتْ بمحلّ الحلويات الخاصّ بأبيها، ثُمَّ

توّلتْ إدارتهُ فيما بعد، وها هي قد باعتهُ بعدَ أنْ أضحى من أشهرِ محلّات الحلويات بالقاهرة، ثُمَّ ابتاعتْ بثمنهِ قطعة أرضٍ لتُنشأ عليها بُرجًا سكنيًا فيما بعد.

أخبرتْ نور ندى بموعدِ زيارتها لطبيبةِ النساء بعد يومان، لتُجهضَ جنينها، وهذا هو القرار الذي اِتخذتهُ أُمّها بعدَ أنْ لقيَ وليد حتفهُ بحادثةِ قطار، لم تُخبر والدة نور أُختها أُمّ وليد، وفضّلتْ أنْ تُجهِضَ ابنتها سرًّا.

اِختارتْ ناني فُستانًا أبيضًا كَقلبها، صافيًا كَبشرتها، مُزركشًا، جميلًا، لترتديهِ يومَ زفافها بعد يومان، بينما نوال وندى قد اِختارتا ثوبانِ أنيقانِ يليقانِ بهذهِ المُناسبة السعيدة.

حانَ موعد الزفاف، دَقَّتْ الدفوف، بعدَ أنْ تزيّنَ بيت نوال بأبهى الزينات، فاحَ البخور، نُثرتْ

الورود، أُشعلتْ الإضاءة المُلّونة، اِكتستْ الأرض بالسجّادِ الأحمر، واكتستْ الحوائط بالشيفونِ الأبيض، زُيّنَتْ الموائد بألذِّ الحلويات، بالإضافةِ إلى العصائر الطازجة، وكذا الشربات، وبعض الفاكهة والمُكسرات.

أنهتْ ناني زينة الفتيات زينتها، بعدَ أنْ اِكتحلتْ ليظهر لون سوداويها الجميلتان، ووضعتْ بعض طِلاءِ الشُفاه الأحمر كَلونِ وجنتيها، كما نقشتْ رسومات هادئة بالحناءِ على يداها، وخرجتْ ليوسف الذي طالما حَلمَ بهذهِ اللحظة مُنذُ زمنٍ بعيد.

عَلتْ زغاريد نوال ليسمعها القاصي والداني، تعبيرًا عن سعادتها بابنتها ناني، حاولتْ ندى أنْ تُزغردَ لكنَّها فشلتْ، فاكتفتْ بالإمساكِ بذيلِ فُستان العروس.

مضتْ الليلة بعدَ أنْ ذهبتْ ناني مع زوجها لبيتهما، وعادتْ نوال وندى لبيتهما، بينما نور قد فارقتْ الحياة إثرَ نزفٍ حَدَثَ لها أثناء اِجهاضها على يدِ طبيبة نساء قد فقدتْ شرف المهنة، وخانتْ الأمانة، وحنثتْ يمينها التي أقسمتْ قبلَ أنْ تعمل.

قد تَمَّ القبض على الطبيبة فيما بعد، وعلى إثرِ فِعلتها اللاخلاقية شُطِبَتْ من نقابةِ الأطباء، وتمَّ توجيه تُهمة الإهمال للأُمّ، والتي طلّقها زوجها بعدَ أنْ وارى جُثّة ابنتهِ التُراب، ثُمَّ خرجَ ولم يُعُد.

حينَ عَلِمَتْ أُمّ وليد بالخبرِ أصابها شللٌ نصفي، وأصابَ الخزي بيتهم، من فِعلِ ابنهم البالغ من العُمرِ ثلاثونَ عامًا حالَ فِعلتهِ بطفلةٍ لم تتجاوز الخامسةَ عشر، ناهيكَ عن كونها ابنة خالته.

صُدِمَتْ ندى على ما حَدَثَ لنور، لكنْ سُرعان ما عادتْ لطبيعتها بعدَ أنْ سافرَ يوسف وناني،

وأرسلتْ إليهما ناني بعدَ أنْ جهّزتْ لهما شقة بجانبِ شقتها بذاتِ البناية.

اِستقرّتْ ناني وزوجها، وأُمّها وأُختها، كما قامتْ بالتقديمِ لأُمّها بجمعيةٍ خاصّة بتحفيظِ القرآن الكريم، لتُكملَ حفظ كتاب اللّه، بينما ندى تُشاركها الحفظ، وكذا تهتم بدراستها، فهذهِ هي آخر سنة في شهادتها الثانوية، لتُحقّقَ حلمها بالإلتحاقِ بكليةِ الحقوق؛ كي تفهمَ ما لها وما عليها، ولتكونَ عونًا للمظلومينَ على الظالمين.

مَنَّ اللّهُ على ناني فأنجبتْ فريدة، ابنة قلبها، أحبَّتها حُبًّا جمًّا، جعلَ يوسف يغار منها بعض الشيء، كما قامتْ بإنشاء البُرج السكني الخاصّ بمالِ محلّ أبيها، وكذلكَ أنشأتْ بُرجًا آخر خاصّ بابنتها فريدة، ليكونَ سندًا لها في المُستقبل، تستفيد منهُ

عندَ الحاجة، على الرغمِ من شراءِ يوسف بعض الأراضي وتخصيصها لفريدة أيضًا.

ذات يومٍ ذهبَ مالك المُستشفى ليُباشِرَ العمل، وما أنْ رأى ناني حتّى وقعَ بغرامها، حاولَ التقرُّب إليها لكنَّها صدّته، حاولَ أنْ يتقرّبَ من زوجها لكنَّهُ أغلقَ في وجههِ الباب.

ساومها على العملِ مُقابلَ أنْ تتطلقَ من يوسف، وستكون المُستشفى مهرًا لها، وستُقيمُ بقصرٍ فخمٍ بأرقى أحياء عاصمة المملكة، لكنَّها رفضتْ وذكّرتهُ باللهِ فلم ينتهي، بل قامَ بفصلِ زوجها من عمله، ظنًّا منهُ أنَّهُ سينفرد بها، فاجأتهُ بتقديمِ اِستقالتها، تَمَّ قبولها من قِبلِ أحد أعضاء مجلس الإدارة، والذي يحقد عليها لجدّها واجتهادها.

لم تستطع ناني اِكمال عيشها بتلكَ الدولة، فعقدتْ النيّة في العودة إلى مصر، وقد كان، فبعدَ أنْ أنهى

يوسف اِرتباطاتهم من حيثُ السكن والإقامة ودراسة ندى، عادوا إلى القاهرة، ليبني هو وناني مُستشفى اِستثماري، وتُكمل ندى دراستها الجامعية، بينما نوال ترعى حفيدتها فريدة ذات الخمسةِ أعوام.

أصابَ الحُزن قلبَ يوسف حينَ مرضتْ ناني، فتركَ عملهُ وأقامَ معها ليُداويها ويُهوّن عليها، رأتهُ يبكي فمسحتْ دمعه، وتبسمتْ لهُ قبلَ أنْ تُضيف:

آهٍ من الحُبِّ آه، مُنذُ رأيتني بالجامعة ولم تتركني من حينها، بل صمّمتَ على الإرتباطِ بي رغم الفارق الاجتماعي، لم أشعر بالأمانِ بعدَ موتِ أبي إلَّا حينما رزقني اللَّهُ بك، كُنتُ كالتائهة قبلكَ فأهداكَ اللَّهُ لي، لم أَكُن أعلمُ أينَ هي وجهتي حتّى أرسلكَ اللَّهُ إليّ لتكونَ وجهتي، لم تبخل عليَّ بالحنان، بل

فِضتَ عليَّ وكفيتني كُلّ شيء، أراكَ أجلُّ نِعَمِ اللَّهِ عليّ.

قَبَّلَها يوسف بينَ عينيها وأردف: ناني نِصفي الثاني، الذي طالما بحثتُ عنه، نصفي الثاني الذي بِهِ أمني وأماني، وراحتي وسكينتي، نصفي الثاني الذي هو سكني ومسكني، ناني رَّوحي بجسدِ امرأة، ناني عقلي برأسٍ آخر، ناني نفسي ونفيستي، ناني جنّتي ودُّنيتي.

ظَلَّ يوسف مُقيمًا بجوارها حتّى اِستردّتْ عافيتها، وعادتْ لبيتها ليزدانَ بوجودها، وتحلو دُّنياها بوجودِ حبيبها، وتسعد بلّمةِ أحبابها.

دعوني وشأني رجاءً

فَرِحَ بها الأبوان، فقد عانا كثيرًا حتّى أنعمَ اللَّهُ عليهما بها، وهذا ما جعلَ قدومها سببًا في إحياءِ الفرحةِ بقلبيهما، رُغم ما هُما عليهِ من ضِيقِ الحال.

مَرّت الأيَّام وبلغتْ رأفة _كما أسمياها_ السادسةَ من عُمرها، فأدخلاها المدرسة الابتدائية الخاصّة بحي إقامتهم، ظنًّا منهما أنَّها ستكون كَسميرة موسى _رَحِمَها اللَّه_ وظلّا يُجاهدانِ معها في الجانبِ التعليمي بجانبِ مَهمتهما التربوية حتّى حَدَثَ ما لم يَكُن يومًا بالحُسبان؟؟

ففي إحدى الليالي الشتوية تحديدًا دلفتْ الأُمّ غُرفة رأفة الطالبة بالصّفِ الخامس الابتدائي لتجدها تَقُصّ بعض شعرها؛ أصابها الذهول فنادتْ زوجها المُنهَك من عملهِ اليومي كَبائع بِليلة، أتاها مُسرعًا

ليُفاجأ هو الآخر، جَلسَ على سريرها الحديدي الصغير ليُحدّثها بحنان: رأفة ما بكِ بُنيّتي؟

ما الذي تفعلينهُ بشعركِ الجميل؟

رفعتْ بصرها إليهِ فسالَ دمعها.

اِحتضنها بعطفٍ وسألها عن ما حَدَثَ لها.

أخبرتهُ أنَّ بعض زميلاتها بالمدرسةِ قد سَخِرنَ منها لِتَجَعُّدِ شَعرِها وسُمرةِ لونها، فكرهتْ شَعرِها وأبتْ إلَّا أنْ تَقُصّه.

اِحتضنتها أُمّها وأضافتْ: ابنتي يُقالُ أنَّ شَعر الفتاة هو تاج جمالها و.....

قاطعتها: إنْ كانَ ناعمًا أمَّا شَعري فليسَ كذلك.

ردَّ عليها الأبّ بحنانهِ المعهود: مَن قالَ هذا رأفتي الحبيبة؟

زميلاتي أبي قُلنَّ هذا.

طلبَ الأبّ من زوجهِ أنْ تُعِدَّ لهم الأرز باللبن وتُكثر فيهِ من الزبيب، ثُمَّ أخذَ يُحدّثُ رأفتهُ بعطفٍ ولُطفٍ:

رأفتي الحبيبة كيفَ تَرينَ نفسكِ؟

أجابتهُ: أمَّا قَبلُ فكنتُ أراني لا أحدَ أفضلَ منّي، ولا أحدَ يُشبهُني، فأنا رأفةٌ واحدة كما خلقني رَبّي وحيدة، أمَّا بَعدُ فلم أَعُد أرضى بنفسي بما هي عليه، لذا أردتُ أنْ أُغيّر من مظهري لأُرضي زميلاتي.

اِبتسم لها وقَبّلَ جبينها ثُمَّ أردف: أتعلمينَ أنَّكِ قد أخطأتِ فتاتي الجميلة؟

تساءلتْ: كيف أبي؟

سألها: هل ينظر اللّه إلى صورِ عِباده؟

أجابتهُ: بل إلى القلوبِ أبي.

سألها: مَن الذي خلقكِ رأفة؟

أجابتهُ: اللّهُ هو مَن خلقني أبي.

سألها: آللَّهُ رَضيَ لكِ ما عليهِ صورتكِ من شَعرٍ مُجعّد ولونٍ أسمر؟

أجابتهُ: بالطبعِ أبي.

سألها: لِمَ؟

فكّرتْ قليلًا قَبلَ أنْ تُجيبهُ: لأنَّني جميلة فاللَّهُ لا يَخلقُ إلَّا حَسنًا.

تبسمَ لها ثُمَّ سألها: إذا كانَ اللَّهُ قد رَضيَ لكِ هذهِ الخِلقة، لِمَ تُحاولينَ تغييرها؟

اِبتسمتْ ثُمَّ قالتْ: لن أفعلَ بعد الآن أبي، فأنا جميلةٌ كما خلقني رَبّي، ولستُ بحاجةٍ لإقناعِ أحد بهذا، يكفيني أنَّني بعَينِ نفسي رائعة، وكذا بعيناكما حضرتُكَ وأُمّي الحبيبة أبي.

هَشَّ لها وبَشَّ ثُمَّ أخذوا يتناولونَ الأرز باللبن المُزيّن بالزبيبِ والذي أعدَّتهُ أُمّها للتو.

كوكب آخر

مَرّت الأعوام وأنهتْ رأفة تعليمها الثانوي بصعوبةٍ بالغة بعدما ماتَ أبيها، وأمتهنتْ أُمّها عملهُ؛ كي تستطيعا البقاء على قيدِ الحياة.

لم تُفكّر في إكمالِ تعليمها الجامعي قدرما فكّرتْ في كيفيةِ كَسبِ المال ومن ثَمَّ إراحة أُمّها.

بحثتْ كثيرًا عن عملٍ مُناسبٍ لكنَّها لم تجد، سألتْ بعض أصدقاء أبيها لكنَّهم لم يُفيدوها في شيء، حاولتْ وحاولتْ وحاولتْ لكنْ لم تُوَّفَق.

تَمُّر الأيَّام ورأفة جليسة البيت، تُساعد أُمّها في إعدادِ البِليلة، وتُراجع القرآن الكريم الذي حَفِظَتهُ مُنذُ أعوام، ثُمَّ تُعمِلُ عقلها فتقوم بتصنيعِ ألعاب ذكاء خاصّة بالمرحلة الابتدائية، تقوم بتصنيعها من زجاجاتٍ فارغة، وبعض الورق وقصاصات بلاستيكية مُلّونة.

ظلّتْ هكذا حتّى أتمّتْ الثانية والعشرون، تقوم بتصنيعِ الألعاب وإهدائها لأطفالِ الحي، وتُساعد أُمّها في مَطعمها الخاصّ بطهي البِليلة.

عرضتْ عليها إحدى مُعلّمات الحي أنْ تقومَ بإنشاءِ قناة خاصّة بفكرتها على إحدى مواقع التواصل الاجتماعي؛ لعُمومِ الفائدة ولرُّبما حالفها الحظّ فلاقتْ تشجيعًا ودعمًا، فكّرتْ في الأمرِ ثُمَّ استأذنتْ أُمّها بعدَ أنْ استخارتْ رَبّها فأذِنَتْ لها.

أصبحتْ قناة رأفة مشهورة محلّيًا بعد إنشاءها بعامٍ ونصفِ العام، وجاءها عرض من إحدى المصانع بتبّني فكرتها والإنفاقِ عليها حتّى النجاح، قَبِلتْ العَرض وذاعَ صِيتها في أرجاءِ الوطن، ثُمَّ تخطى حدود الوطن إلى دولِ الجوار وإحدى الدول الغربية.

مَضى عامانِ وقد بلغتْ رأفة من الشُهرةِ ما لم تبلغهُ امرأةٌ مثلها، وهذا ما جعلَ إحداهنَّ تحقد عليها بل وتُفكّر في طريقةٍ لتكونَ سببًا في خَسارتها.

لم تَرى تلكَ الحاقدة سوى عمل أُمّ رأفة لتُشّهرَ بها عن طريقهِ، كذلكَ بالإضافةِ إلى صفات رأفة التي عانتْ بسببها في الصِغر؛ كَشَعرها المُجعّد ولونها الأسمر، بحثتْ عن طريقةٍ للتشهير برأفة فكانَ مَقطعًا مُعَدًّا بتقنيةِ الذكاء الاصطناعي، يُحاكي صوت رأفة وشكلها، يقوم بالتقليلِ من هذهِ وتلك، والسبّ والقذف، وغيرهِ من الأفعال المُشينة.

نفتْ رأفة ما نُسِبَ إليها من أفعالٍ مُشينة، ثُمَّ استعانتْ بمُتخصصٍ في عِلمِ البرمجة ليُثبتَ لمَن قاموا بمُقاضاتها براءتها مما نُسِبَ إليها.

عادتْ رأفة إلى بيتها لتجد أُمّها ميّتة بعدما حَزِنَتْ عليها فتوقفَ قلبها عن العمل.

مرّت الأيَّام وأضحتْ رأفة هي المسؤولة عن مطعمِ أُمّها بعدما أغلقتْ القناة، وفضّلتْ العملَ في صمتٍ بعيدًا عن ضوضاءِ الغوغائيين.

فَرِحَتْ الحاقدة حينَ لم تجد قناة رأفة، وعادتْ لتَبُثَّ فُجرها في أنفُس ضُعفاء العقول، ومُرضاء النفوس، ثُمَّ أخبرتهم أنَّ السمراء ذات الشَعر المُجعّد ابنة بائعة البِليلة قد ذهبتْ لعالَمها، إذ لا مكانَ لها في مواقع التواصل الاجتماعي.

كراكيب للبيع بسِعر زمان

أخذَ يتفحص أشياءهُ المحفوظة بغُرفةِ الكراكيب الخاصّة بهِ، وَقَفَ مُتوسطًا الغُرفة، مُتأملًا ما تحويهِ من صناديقٍ قديمة، وأوراقٍ عتيقة، وملابسٍ مُهترئة، بالإضافةِ لأشياء أُخرى.

بَحَثَ بجيوبهِ عن مالٍ فلم يَجد، تذكّرَ نصيحة صديقهُ الصدوق، حينَ أشارَ عليهِ ببيعِ بعض كراكيبهِ علّهُ يَجد لها مُشتري؛ ليستطيع العَيش بثمنها بعدما قامَ بصرفِ راتبهِ على فواتير الكهرُباء والماء والغاز، وبعض الخُبز الذي ابتاعهُ، أعادَ اِنتباههُ سقوط أحد الصناديق من أعلى الأرفُف، أسرعَ إليهِ ليجدهُ قد تحطمَ فأخرجَ ما كانَ بداخلهِ.

تفحصَ مُحتواهُ فسالتْ عَبراته؛ إذ رأى بعض الدفاتر المحبورات من زمنٍ مَضى، أخذَ يقرأ

بعضها فوجدها نصائح مُوَّجهةٌ إليهِ من أبيه، قرأها بفؤادهِ وعيناهُ تذرفان، ثُمَّ تَرّحَمَ على أبيهِ ولملمَ مُحتوى الصندوق ووضعهُ جانبًا.

نظرَ حولهُ فوجدَ ما جذبَ اِنتباههِ جذبًا، صندوق مُعنون برسائل من الماضي إلى الحاضر، أخذ ينفض عنهُ الغُبار ثُمَّ فتحهُ وبدأ بقراءةِ بعضًا من الرسائل، زيّنتْ البَسمة وجههُ إذ أنَّ التفاؤلَ هو الغالب على رسائله، كما أنَّهُ كانَ يُعزّي نفسهُ على ما هو فيهِ الآن من زمنٍ فات، أغلقَ صندوقهُ ووضعهُ جانبًا.

اِنتصبَ واقفًا وتساءل: أظنُّ أنَّ صديقي كذبَ عليَّ حينَ أخبرني أنَّ كراكيبي ذات قيمة، رُغم أنَّني لم أعهدهُ إلَّا صادقًا، ولكنْ مَن الذي سيشتري منّي أشيائي هذهِ؟

تفقدَ باقي الكراكيب علَّهُ يَجد بها ما يُمكن بيعه، لكنْ هيهات؛ فكُلّها قِيمٌ وأخلاقٌ، وآدابٌ ونصائح، حتّى الملابس المُهترئة هي جُبّةُ جدّي _رحمهُ اللَّه_ وباقي الأشياء هي جلابيبُ أُمّي _رَحِمَها اللَّه_ كذلكَ مِسبحة أبي _رَحِمَهُ اللَّه_ سيراها البعض بلا قيمة، بينما هي جزءٌ من قلبي وبعض عُمري، هي ليستْ كراكيب وحسب؛ بل هي بعضًا منّي، ما هذا العصر الذي نعيش؟

وصلتْ بيَ الحال أنْ أبيعَ بعضي كي أبقى على قيدِ الحياة!

وهل هُناكَ حياة لمَن باعَ بعضه؟؟!

أعرضَ عن فِكرةِ صديقهِ لكنْ سُرعان ما أجبرهُ الغلاء على الإقدامِ عليها بقلبِ فارسٍ مغوار، أعدَّ عُدّتهُ ولملمَ كراكيبهُ، ثُمَّ وضعها في عربةٍ قد اِستأجرها وذهبَ إلى السوق.

نظرَ حولهُ بعينيهِ المُرهقتينِ فوجدَ مساحة بالكادِ تكفي كراكيبه، أسرعَ بإخراجِها من العَربةِ وقامَ بوضعها، ثُمَّ أخذَ يُنادي: كراكيب للبيع بسِعر زمان، لا تخف أيُّها المُشتري فهي قيّمة، نفيسة ذات قيمة في زمنٍ عَزَّتْ فيهِ القِيَم.

أتاهُ أحدهم ليتفحصَ بعضها، ثُمَّ نَظَر إليهِ بسُخريةٍ وأردف: ما هذا الذي تبيع؟ أجُنِنتَ يا رَجُل؟

اِبتسمَ البائع قبلَ أنْ يُضيف: هذهِ بضاعتي وأنا بكاملِ قُوايا العقلية.

وهُنا تعالتْ ضحكات المُشتري.

سألهُ البائع عن سببِ ضحكهِ.

أجابهُ: إنَّها بضاعةً مُزجاة، لا قيمةَ لها، أنصحكَ بإعادتها إلى المِزبلةِ التي أخرجتها منها.

سالَ دمعهُ قبلَ أنْ يُضيف: لا سامحكَ اللَّهُ فقد جرحتني دونَ جِنايتي بحقّك، ما تدّعي أنَّها بضاعةً مُزجاة هي بعضي، ليسَ هذا فحسب، بل هي بعض أعزّاء قلبي؛ فهذهِ جُبّةُ جدّي _رَحِمَهُ اللَّه_ المُعلّم في الأزهرِ الشريف هاكها لتَرى، وهذهِ مِسبحةُ أبي شيخ الكُتّاب _رَحِمَهُ اللَّه_ أمَّا هذهِ فهي جلابيبُ أُمّي ربّة البيت والمُربية الفاضلة _رَحِمَها اللَّه_ وأمَّا عن هذهِ الصناديق، فهذا صندوق نصائح أبي الثمينة هاكَ بعضها، وهذا صندوق رسائل من الماضي إلى الحاضر، وهذا صندوق الأحزان؛ جمعتُ بهِ ما أحزنني ليجتنبهُ المُشتري حتّى لا يُصابَ بالحُزن.

هاكَ بضاعتي، تفقدها ثُمَّ احكم، لا تدع لسانك يغلب عقلك، ولا تسرُعك يغلب صبرك، أعطي لعقلكَ فُرصة التفحيص ثُمَّ احكم بعدها كيفما شئت.

لا تَكُن فظًّا غليظَ القلب، فما تراهُ أنتَ بلا قيمة رُّبما يُمّثلُ بعضًا من حياةِ صاحبه، فرفقًا بالقلوب.

تركَ المُشتري ما بيدهِ، ومَسَحَ عَبراتهِ ثُمَّ رَبتَ على كَتفِ البائع وأردف: صدقتَ وأحسنت، سامحني فعُذري الجهل.

تبسمَ لهُ البائع: سامحني وسامحكَ اللّه.

عادَ يُنادي: كراكيب للبيع بسِعر زمان.

شيءٌ ما كُسِرَ بداخلي

لملمتْ أوراقها المحبوراتِ بحبرِها السرّي بعدما أخرجت بعض ما يُؤرق ليلها، ثُمَّ وضعتهنَّ بصندوقِ أوجاعها؛ ذاكَ الصندوق الذي يحوي أوجاعها دونَ شِكاية، جاءتها الفكرة حينَ ظلمها أباها ولم تجد مَن يُنصفها، بحثتْ في خِزانةِ أشياءها القديمة فوجدتْ لوحًا خشبيًا، قطّعتهُ وصمّمتْ منهُ صندوقًا ليكونَ لها بمثابةِ رَفيقٍ لا يتركها حتّى تستغني هي عنهُ فتُعيدهُ لوحًا خشبيًا كما كان.

أغلقتْ صندوقها وحَفِظتهُ بخِزانةِ ملابسها، اقتربتْ من النافذة المُغلقة، فتحتها لتعلَم أنَّ الليلَ قد أتى بسدولهِ، فقد غَطى ظلامهُ فِناء الدار، أعادتها مُغلقة كما كانتْ وراحتْ لتتوّسد.

وضعتْ رأسها على وسادتها المُبتلّة بِدَمعِها، ثُمَّ لامستْ قفصها الصدري ويكأنَّها تتحسّس قلبها، سُرعان ما رفعتْ يدها عن مَوضعِ نبضها، وقامتْ لتبكي وجعًا ألّمَ بنياطها.

أثناء ذلكَ سَمِعَتْ صوتَ الكروان يأتيها من بعيد، كفكفتْ دَمعَها وأسرعتْ إلى النافذة، فتحتها ليقتربَ صوت الكروان منها، أخذتْ نفسًا عميقًا ثُمَّ تأملتْ ذاكَ الصوت الجميل الذي يَشُّق سكون الليل.

لحظاتٍ وغادرَ الصوت لتعودَ هي لسريرها، نظرتْ ليدها اليُسرى بعدما تحسّستْ عِرقها الموصول بقلبها، وهُنا ذرفتْ عيناها، فأضافتْ: ما هي فائدتُكَ بعدما ماتَ بعض قلبي؟

قُلْ لي؟

بل ما فائدة الجسد حينَ يُقضَى على القلب؟

القلب، تلكَ المُضغة التي لا يَعلمُ أسرارها إلَّا مَن فَطرها.

وهُنا تذكّرتْ قولَ اللَّهِ سُبحانَهُ وتعالى: "ألا بذِكرِ اللَّهِ تطمئنُّ القلوب"، دلفتْ دورة المياه، توضأتْ ثُمَّ صَلّتْ ركعتا قضاء الحاجة، وأخذتْ تلهج بالدُعاء، لعلَّ اللَّهَ يُحدِثُ بعدَ ذلكَ أمرًا.

اِنتهتْ من صّلاتها وقد هدأتْ بعض الشيء، أخرجتْ بعض أوراقها من حقيبتها الصغيرة، وأخذتْ تسطُر بحبرِها السرّي ما يُؤلم قلبها:

عجيبٌ أمرَ هذهِ المُضغة!

فقد تكونُ سببًا لسعادةٍ لا يُضاهيها سعادة، وقد تكونُ سببًا في الشقاءِ والتعاسة، وكلاهما موقوفٌ على قضاءِ اللَّهِ وقدره.

حينَ أتأملُ القلبَ أجدْهُ كَالرضيعِ الذي هو بحاجةٍ إلى مَن يعتني به، كذلكَ هو بحاجةٍ إلى مَن يحميهِ

ويحفظهُ بل ويُدافع عنه؛ فهو لا حولَ لهُ ولا قوّة لهُ اللهمَّ إلَّا ضَّخ الدّم في العروق.

القلب هو تلكَ الوديعة بينَ أُصبُعِ الرحمٰن، يُقلّبها كيفما شاء، ولأنَّهُ سُبحانَهُ هو فاطِرُ تلكَ المُضغة فلا يُحزنها أبدًا، حتّى وإنْ قدّرَ على صاحِبها البلاء فتراهُ رحيمًا بهِ، مُترأفًا بحاله، يَعزّ عليهِ سبحانهُ أنْ يتركهُ لنفسه، كيفَ لا وهو الذي خلقهُ من الطّينِ ونفخَ فيهِ من رَّوحهِ فجعلهُ بَشرًا.

وضعتْ ورقتها بصندوقِ أوجاعها بعدما اِنتهتْ من كتابتِها، ثُمَّ قامتْ لخِزانةِ ملابسها فارتدتْ زيّها الذي تُحِبّ، ووقفتْ أمامَ المرآةِ تتفقد ملامحها، في تلكَ الأثناء لمحتْ صورة والدها الساقطة بجوارِ المرآة، اِلتقطتها وتعمّقتْ بها حتّى سَالَ دَمعها، وأخذتْ تُحَدّثها: لماذا يا أبي؟

أليسَ من الفِطرةِ أنْ تكونَ سَندي والأمان في هذهِ الحياة؟!

لماذا يا أبي؟

ألم يُفتَرض بكَ أنْ تكونَ قوّتي وحِمايتي؟

لماذا يا أبي؟

قد أحببتُكَ حُبًّا لم ولن يُحبُّكهُ أحدٌ غيري.. أنا بضعتك.

شيءٌ ما كُسِرَ بداخلي حينَ ظلمتني أيا أبتي، ليسَ هذا فحسب، بل وسلبتني أماني فلم أَعُد في مأمنٍ إلَّا من اللَّه.

زحزحتْ طُمأنينة قلبي أبتي فلم أعُد أطمئنّ إلَّا بذِكرِ رَبّي.

حتّى حركتي شُلّتْ حينَ أردتَ أنتَ ذلك.

أينَ أنتَ من الأبوّةِ أبتي وأينَ الأبوّة منك؟!

أمَّا قَبلُ فكنتُ أحزنُ حينَ أُظلَم منكَ أبي، وما ذاكَ إلَّا لوجودكَ بقلبي، أمَّا بَعدُ فقد خرجتَ من قلبي أبي ولن تعودَ إليهِ ثانيةً حتّى ألقى اللَّهَ جلَّ وعَلا، وما كانَ لي عليكَ من حقٍّ فعندَ اللَّهِ المُلتقى.

كفكفتْ دَمعَها المُنهمر وتوّسدتْ بعدما تَلتْ بعض آي الذِكر الحكيم.

وفي صبيحةِ اليوم التالي نهضتْ مُسرعةً لتَنعَم بأشّعةِ الشَّمس الصباحية، ثُمَّ وقفتْ أمامَ المرآةِ لتُحدّثَ نفسها: حتّى وإنْ شَعرتُ بأنَّ شيئًا ما كُسِرَ بداخلي سأُقاوم، وسأُطبِقُ قفصي الصدري على قلبي كي لا يُسمَع لوجعي صوت.

سأَحيِكُ جُرحي بالرضا بقضاءِ اللَّهِ وقدره، وسأقبُرُ دَمعي بمقلتاي، وسأبتسم لأُطمئنَّ مَن حَولي بينما يثورُ ما بداخلي.

هي دُّنيا ما كانتْ لنا وما كُنّا لها، خُلِقنا للعِبادة، وما دونَ ذلكَ ما هي إلَّا أسباب تُعين على العِبادة، وخالِقُ الأسباب كفيلٌ بتوزيعها، كما هو كفيلٌ بالأرزاق.. فقدّرَ اللَّهُ وما شاء فعل.

مَلكٌ برداءِ رَجُل

كانتْ لا تُنصتْ لقلبها أو قُلْ رُبما لم تَشعُر بقلبها إلَّا حينَ رأتهُ في ذلكَ اليوم، اليوم الذي اِجتمعتْ فيهِ الأسباب لتحولَ بينها وبينَ لقائهِ لكنَّ اللَّهَ إذا أرادَ شيئًا كان.

اِرتدتْ زيّها المُميّز وهَمّتْ للذهابِ حيثُ هو ينتظرها، لكنَّ حَدَثَ ما بدا أنَّهُ سيمنعها من الذهاب، هاتفتهُ والغُصّة تسري بجوفها مُعتذرةً عن المجيء، هدّأ من روعها بنبرتهِ الحنون، وطمأنَ قلبها بكلماتهِ الواثقة باللَّه، ذرفتْ عيناها بعدما أغلقتْ هاتفها المحمول، رأتها أُمّها هكذا فأشفقتْ عليها ودعتْ لها بالخير، ثُمَّ شّجعتها على الذهابِ فذهبتْ بصُحبةِ أخيها.

ما أنْ خرجتْ حتّى تصّعبَ عليها الذهاب؛ فلا وسيلة مواصلات مُتوفرة، وحذائها قد تقطّعَ نعليهِ

دونَ سابقِ إنذار، كما أنَّ رصيدها قد نفد.. إذًا كيفَ السبيلُ إليه؟

أخذتْ تدعو اللَّهَ ألَّا يردّها خائبة، وما هي إلَّا لحظاتٍ وأتاها تاكسي من حيثُ لا تدري بعدما هَمّتْ بالعودةِ إلى البيت، سألتهُ عنوان حفل التكريم فأبتسم وأضاف: تفضلي ابنتي، العنوان ليسَ ببعيدٍ، ركبتْ هي وأُخيّها في المِقعد الخلفي، وشغلتْ نفسها بالنظرِ من النافذة، دقائق ووصلتْ إلى المكان، سألتْ السائق العجوز عن أجرهِ، أخبرها فأعطتهُ إيَّاهُ وخرجتْ.

وقفتْ أمامَ المكان وهاتفها خالي من الرصيد، ودعتْ رَبّها أنْ يجعلهُ يتصل بها، لُحيظةٍ وكانَ يتصل بها، هاتفتهُ بأنَّها تنتظرهُ في الخارج، خرجَ إليها مُسرعًا ولا زالَ يُهاتفها، ثُمَّ طلبَ منها أنْ تنظرَ أيمنَ منها، فعلتْ فرأتهُ مُقبلًا عليها، شعرتْ

بشيءٍ لم تشعر بهِ طِيلةَ عُمرها، سعادة بالغة تُنعِشُ نفسها، فرحة غامرة تُدغدِغُ رَّوحها، إحساسٌ رائع سَكَن قلبها فسَكَنَ قلبُها.

صافحَ أخيها وتعانقا، ثُمَّ ألقى عليها السلام، ودلفوا إلى القاعةِ حيثُ التكريم.

دقائق وخرجوا إلى الحديقةِ بعدما انتهى التكريم، وقبلَ أنْ تذهب أراها هو القمرَ بدرًا رُغم أنَّهُ في بدايةِ الشهر الهجري، وأخبرها أنَّ تلكَ حالة نادرة قَلّما تَحدُث، سُرّتْ بما أخبرها بهِ، ثُمَّ أوقفَ لهما تاكسي هي وأُخيّها، وطلبَ من السائقِ أنْ يوصلهما لبابِ بيتهما.

ودّعهما وأخذَ ينظر إلى التاكسي حتّى غادر.

عادتْ هي إلى البيتِ لتراها أُمّها بوجهٍ غير الذي ذهبتْ بهِ.

دلفتْ غُرفتها لتُبدّلَ ملابسها وقلبها يكاد يقفز من صدرها لفرطِ سعادتها؛ فهي التي لم تشُعر بالسعادةِ الحرفية من قبل، أخذتْ تَحمدُ اللَّهَ على أنْ قدّرَ لها لقاء ذاكَ الطيّب الطاهر.

ثُمَّ أخرجتْ دفترها وأخذتْ تسطُر بعضًا من مَكنونِ مشاعرها تحتَ عُنوان: مَلكٌ برداءِ رَجُل.

مَرّت الأيَّام وتأكدَ ظنّها أنَّهُ ليسَ رَجُلًا عاديًّا؛ بل هو كَالمَلكِ بالنسبةِ لكثيرٍ من البشر، هو طاهر القلب والرَّوح، هو صاحبُ نفسٍ راضية، هو النقي التقي، هو البرئُ من خَبَثِ الدُّنيا، العاري من زَيفِها، المُتملّصُ من خُدعِها، الصادقُ رُغم كذبها، المُتواضعُ للَّهِ ربّ العالمين.

يظنّ نفسهُ عاديًّا وهو عَظيمٌ مَيَّزهُ اللَّهُ عن غيرهِ مِن البشر.

زادها اللَّهُ من فضلهِ فجعلها تعملُ تَحتَ إدارتهِ، وكأنَّهُ سُبحانَهُ وتعالى يُقرّبها منهُ رُغم بُعد المسافات.

اِكتشفتْ مع مرورِ الوقتِ إحساس آخر، وهو إحساس البعض من كُلّهِ أو الأصل وفرعهِ، أحسّتْ ويكأنَّهُ كُلّها، أو قُلْ أصلها، أحسّتْ بالإنتماءِ إليهِ، إحساسٌ لم تَحسّهُ البتة؛ إحساسُ الإنتماءِ إلى شخصٍ بعينهِ رُغم كثرة الخلائق.

طوتْ صفحة قلبها على إحساسها إلى أنْ يشاء اللَّه، ثُمَّ جعلتْ مَن تَحسّ بالإنتماءِ إليهِ رفيقَ دعواتها في الصّلاةِ والصوم، كما أودعتهُ الرحمٰن فهو الذي لا تضيع ودائعه، ظلّتْ هكذا إلى أنْ شاء اللَّهُ لها الخير وأَذِنَ لها بالجبرِ فتقدّمَ لها خاطبًا.

لم تسعها الدُّنيا لسماعِها هذا الخبر الذي نزلَ على قلبِها كَالماءِ البارِدِ على الظمأ، لكنْ دائمًا ما تأتي

الرياح بما لا تشتهي السُفن، فقد اِتفقَ الأشقاء على عدمِ زواجِ شقيقتهم في الوضعِ الراهن؛ نظرًا لتعسُّرِ الظروف، سرتْ الغُصّة بحلقِها وسالتْ عَبراتها، فهي تعلم أنَّهُ يُريدها وهي كذلك، كما أنَّهُ قد فضّلها على كثيرٍ من الفتياتِ تفضيلًا، هو مَن آوتْ إلى رَّوحهِ رَّوحها فاستقرتْ، هو مَن سَكَنَ قلبها فَسَكَنَ قلبُها، هو مَن بثَّ الأملَ بنفسها، هو مَن غَسَّلَ قلبها من مخاوفهِ، هو مَن زادها شجاعة وقوّة رُغم ما يفصل بينهما من بُلدان.

أتظنّهُ رَجُلًا عاديًّا بعد كُلّ ما رأتهُ منه؟

لم يتمكن اليأس من قلبِها رُغم واقعها البائس، وهذا ما تعلّمَتهُ منهُ؛ تعلّمتْ منهُ معنى الرضا حينَ شاهدتهُ مُستسلِمًا لقضاءِ اللّه وقدره، راضيًا حامِدًا، ذاكرًا، شاكرًا، قانِعًا رُغم ما لا يَروقهُ، تأملتهُ

فانبهر عقلها؛ كيفَ لرَجُلٍ أنْ يَقبَلَ ما يكره بنفسٍ راضية طالما هو قدرُ اللَّه؟

بل كيفَ لرَجُلٍ أنْ يتعايش مع سوءِ القضاء دونَ سخطٍ أو غضب؟

نصحها بالكثيرِ من النفائسِ وعلّمها الأكثر، وهي المُنصتة لهُ والحالمة على طلبِ العِلم منهُ.

رَجُلًا أهدانيها الذي خلقها وتَكفّلَ بها، رَجُلًا ليسَ كَسائرِ الرجال، رَجُلًا نفيسًا في زَمنِ أشباه الرجال، رَجُلًا في زَمنٍ عَزَّ فيهِ الرجال.

تسلّحتْ بالدُعاء، وأعدّتْ عُدّتها من الأمل، وأيقنتْ أنَّ أمرَ اللَّهِ نافذ لا مَحالة، وأنَّ ما يُريدهُ الرحمٰن يكون، وأنَّ الأمر كُلّهُ لهُ سبحانهُ وتعالى.

أخذتْ تلهج بالدُعاءِ في صّلاتها: قلبي بينَ أُصبعيك والأمر كُلّهُ إليك، وكُلّها يَقينٍ بأنَّ اللَّهَ لن يخذلها، حاشاهُ أنْ يَدعها إلَّا أنْ يُبلّغها مُرادها.

حينَ التقيتُكَ تَوّردَ قلبي

قرأتْ رواية أبو الفوارس فأُعجِبَتْ ببطلِها المغوار، المِقدام، الشُجاع، الحنون، والعاشق الولهان.

لَكَم تمنّتْ أنْ تَحظى بمِثلِ عنترة بن شَدّاد؛ ليكونَ عونًا لها على مصائب الدهر، حنونًا عليها، شاعِرًا بها ولها، مُحِبًّا لها دونَ سِواها، دِرعها الذي تختبئُ خلفهُ كُلّما خَشيتْ شيئًا، أمنها وأمانها.

يبدو الأمر مُستحيلًا في عصرنا هذا، لكنَّها أبدًا لا تَفقِدُ الأمل، لرُّبما هُناكَ عنترة يدعو بها في صّلواتهِ كما تَفعل هي، هكذا هي الحياة؛ ما تتفوّه بهِ يَحدُث لك، وكما قِيل: "كُلّ مُتوَقعٍ آت".

لم تَكُفّ يومًا عن حلمها بفارسِها الذي رسمتهُ بِمُخيّلها، هذا الفارس الذي يأتيها على قدميه، إذ لا داعي للخيلِ الآن، مُصطحِبًا معهُ مجموعة من الكُتبِ المُتنوعة؛ فهي تُحِبُّ هدايا الكُتبِ بل

وتُفضّلها على غيرها، ولا بأسَ من وجودِ باقة من الورد الأحمر البلدي.

ظلّتْ هكذا حتّى شغلتها الهموم عن حلمها؛ حيثُ ابتلاها اللَّهُ بِفَقدِ والدها، وتَعسُّر حال أشّقاءها، ومن قبلهم موت جدّتها، فتصّدعتْ جُدران قلبها الصغير، حتّى شَعَرتْ ويكأنَّ الدّمَ قد تَجَمّدَ بهِ، رُغم هذا لم تيأس فسلّمتْ للَّهِ أمورها، واِتخذتْ من الصّبرِ زادًا لها، وجعلتْ من الدُعاءِ سلاحها.

في إحدى صباحات شهر مايو قرأتْ خبرًا يُفيد بأنَّهُ تَمّ الإعلان عن مُسابقةٍ لعُشّاقِ الشِعر الجاهلي، وعلى مَن يَرغب بالمُشاركةِ في المُجارة الشِعرية اِختيار شاعِرًا بِعَينه، ومِن ثَمَّ تأليف قصيدة مُجارةً لقصيدته.

فَرِحَتْ كثيرًا وعادتْ تقرأ من جديدٍ عن فارِسها المغوار عنترة بن شَدّاد، ثُمَّ نَظَمَتْ قصيدتها مُجارةً

لمُعلّقتهِ المُذّهبة، ونظرتْ إلى الشروطِ فوجدتْ أنَّها مُوافقةً لها.

أعدّتْ عُدّتها وذهبتْ مساء الجُمعة من شهرِ سبتمبرٍ إلى مقرِّ المُسابقة، ظلّتْ جالسة حتّى جاءَ دورها بعدما غادرَ المُتسابقون؛ إذ كانتْ هي آخرهم، وقفتْ أمامَ رئيس لجنة التحكيم لتُلقي قصيدتها، رَحّبَ بها ثُمَّ أَذِنَ لها بالبدء، رفعتْ رأسها بعد أنْ رتّبتْ أوراقها لتراهُ هو، أجل هو؛ فارِسها التي طالما حَلمتْ بهِ مرّات ومرّات، أخذتْ تبتسم دونَ توقُفٍ حتّى سألها بصوتٍ رخيم: أكُلّ شيءٍ على ما يُرام؟

أومأتْ ثُمَّ أخذتْ تُلقي عليهِ قصيدتها لا تَرى سِواهُ بلجنةِ التحكيم.

وما أنْ اِنتهتْ من إلقائها أخذَ يُصفّق لها بحرارة، تبسمتْ لهُ، رَدَّ بمِثلها، لملمتْ أوراقها ثُمَّ غادرتْ القاعة.

جلستْ بالحديقةِ تُفكّر في ملامحهِ الوسيمة، ورَّوحهِ الأخّاذة التي أَسرَتها، بالإضافةِ لطُهرِ قلبهِ ورِضا نفسه.

لم تَكُن تَقتنعُ بأنَّ أحلامَ الخيالِ تَلقى صداها في أرضِ الواقعِ حتّى رأتْ حلمها يمشي على رجلين.. رأتهُ هو.

مساءُ الخير، قالها بصوتهِ الرخيم المُطمئن، رفعتْ بصرها لتَراهُ شامخًا كَشموخِ العَبّاس، ضيّاءٌ وجههُ بنورِ بسمتهِ الصادقة.

مساءُ الخير، قالتها على استحياءٍ حتّى أنَّها لم تَبلُغ آذانه، استأذنها في الجلوسِ فأَذِنَتْ له.

سألها عن قُدرتها على نَظمِ قصيدتها لمُجارةِ مُعلّقة عنترة بن شَدّاد، ولِمَ هو تحديدًا؟

أخبرتهُ بإعجابها بشخصيتهِ الفريدة، كما أنَّها أحبَّتْ مُعلّقتهِ إذ لامستْ كلماتها أوتار قلبها، ثُمَّ سألتهُ: أهذهِ الأسئلة لها عَلاقة بالمُسابقة؟

طمأنها بإجابته: قد اِنتهتْ المُسابقة فورَ مُغادرتكِ القاعة.

أخذَ ينظر إليها بتعمُّقٍ وهي لاهيةٌ بالنظرِ إلى الورود، ثُمَّ سألها عن حالتها الاجتماعية، استحتْ أنْ تُجيبهُ فأردف: هذهِ البَسمة الخجلى بسمة عذراء.

احمّرتْ وجنتاها قبلَ أنْ تقول: أجل عذراء، وغادرتْ على الفور.

مرَّ يومان وجاءتها رسالة نصّية من رقمٍ مجهولٍ كُتِبَ فيها: السلامُ على الحالِمة بفارسٍ كَعنترة.

رَدَّتْ برسالة: وعلى العابِرِ السلام.

سألها: وكيفَ عرَفتِ أنَّهُ أنا؟

أجابته: لأنَّهُ لا أحدَ يعلم أمر عنترة إلَّا أنتَ وأنا.

ومن حينها دارَ الحديث بينهما.

مَضى أسبوع على هذهِ المُحادثة حتّى فاجأها برغبتهِ في التقدّمِ لها، سُرّتْ بخبره، تَقدّمَ لها، اِستخارتْ رَبّها، وافقتْ عليه.

مَرَّ عامٌ على خِطبتهما، وهُما الآن يستعدّان للزفاف.

أرسلَ إليها: السلامُ على ابنة قلبي، وشطر رَّوحي، وأمان نفسي، الحالِمة بعنترة سابقًا، العاشقة لزوجها حاليًا، هل اِنتهيتِ من وضعِ الزينةِ يا فتاة؟

رَدَّتْ برسالة: وعلى ابن قلبي السلام، حلمي السابق، واقعي الحالي، كُلّي وجُلّي وأصلي، أماني

واطمئناني، مُزيلُ هَمّي وأحزاني، عنترةُ الحاضر والمُستقبل، فارسي المِقدام، بطلي الهُمام، الرَجُلُ الأوحد بقلبي وعقلي وعَيني، حينَ التقيتُكَ تَوّردَ قلبي فَرُدَّ لي جمالي وحُسني، فلم يَعُد الوجهُ شاحبًا، ولا الشَعرُ مُتساقِطًا، حتّى حبوبَ الوجهِ وَلَّتْ والوضاءة حَلّتْ، فلا حاجةَ لي بزينةٍ وأزينُ الزينات زوجي.

أتاها بعدما قرأ الرسالة، طرق الباب، خرجتْ الفتيات من الغُرفةِ عدا أُمّهِ وأُمّها، استأذنتها وأسرَّ لها، أخذتْ تبتسم حتّى سألها: ألا ترُدّين؟

أسرّتْ لهُ فابتسمَ ثُمَّ قال: أسرعي ولا تنسي أنْ ترتدي هذا الجلباب؛ فأنا لا أُريدُ أنْ يُشاركني أحد النظرَ إلى حُسنكِ وزينتك.

أومأت لهُ، ثُمَّ دسّتْ بجيبِ درعهِ مُصحفًا صغيرًا، وطلبتْ منهُ أنْ يُمسكهُ ويقرأ منهُ بعض آي الذِكر الحكيم حتّى تتجهز له.

قَبَّلَ جبينها وانصرف، عادتْ هي لتُكمِلَ زينتها بعدما سجدتْ للَّهِ شُكرًا على عظيمِ فضله، وجزيل عطاءه، ثُمَّ تحسّستْ قلادتها المُزيّنة بصورةِ زوجها، قَبّلتها ودسّتها بدرعها.

قلم وورقة وخمسة جنيه

صَلَّى الفجر ثُمَّ عادَ لبيته، دلفَ المطبخ ليُعِدَّ وجبة الفطور لنفسهِ قبلَ أنْ يذهبَ إلى العمل، دقائقَ معدوداتٍ وأنهى قَلي أقراص الفلافل، وضعها جانبًا وأخذَ يُتبِّل صَحن الفول المهروس، لُحيظاتٍ وصّبَ الشاي في كوبهِ المُفضّل (الخمسينة).

مَضى ربع ساعة وللتوِ أنهى تناول الإفطار، ثُمَّ قامَ فارتدى ملابسهُ وذهبَ إلى الجامعةِ حيثُ يعمل.

أوقفَ سيّارتهُ بمَركَنِ السيّاراتِ الخاصّ بالجامعة، ثُمَّ حَمَلَ حقيبتهُ وأسرعَ للمُحاضرة، ما أنْ وصلَ حتّى فاجأهُ الطُلّاب بحفلٍ هادئٍ مُناسبةً لذِكرى ميلادهِ الكريم.

تهللتْ أساريرهُ لرؤيةِ الورد المنثور في قاعةِ المُحاضرات، وكذا القصاصات الورقية المُلّونة التي تحوي همساتٍ من قلوبِ طُلّابهِ لقلبهِ

الشريف، بالإضافةِ لبعض صناديق الهدايا رائعة الشكل والمُحتوى.

تُرى ما الذي فَعَلهُ هذا المُعلّم جعلهم يتذكّرونَ ذِكرى ميلادهِ بل ويحتفلونَ بها؟

قبلَ خمسةِ أعوامٍ من الآن أَذِنَ اللَّهُ لهُ بالبلاءِ فماتتْ زوجهِ وحبيبةُ عُمره، وكذا ولديهِ عيسى وسَلَمَة، رَضيَ بقضاءِ اللَّهِ وقدرهِ وصبرَ بُغية وجه ربّه، ثُمَّ أخذَ عهدًا على نفسهِ ألَّا يدعَ فِعلَ خيرٍ يقدرُ على فِعله، ومن حينها لم يُغلق بابهُ في وجهِ أحد، كما لم يُجبر الطلبة على شراءِ مؤلفاتهِ الدراسية؛ حيثُ جعلها صدقةً جاريةً على رَّوحِ عائلتهِ الراحلة إثر حادث أليم.

وفي العامِ الماضي فَعَلَ شيئًا لا يُمحَى من ذاكرةِ طُلّابه؛ فقد لاحظَ غياب أفضل طُلّابهِ وحينَ سألَ عنهُ أخبروهُ أنَّ أباهُ قد تعسّرَ ماليًا فتوقفَ عمله،

ولم يجد عُمر مفرًا من تركِ الجامعةِ والعمل لتوفيرِ إحتياجات أُسرته، هرعَ المُعلّم إلى بيتِ عُمر وعَلِمَ أكثر عن ما حَدَث، ثُمَّ طلبَ من عُمر العودة إلى الجامعةِ صبيحة اليوم التالي، مُطمئِنًّا إيَّاهُ أنَّ أباهُ سيُعيد فتح شركتهِ مرّةً أُخرى.

مَضى يومانِ وتبدلتْ الأحوال بعدما أعطى المُعلّم ما ادّخرهُ من مالٍ لأبي عُمر، الذي سُرعان ما شَرَعَ في العمل ويكأنَّهُ لم يتعسّر.

سالتْ عَبراتهِ فرحًا بما أعدَّهُ الطُلّاب من إحتفالٍ بذِكرى مولده، ثُمَّ شكرهم وأثنى على صنيعهم، وبدأ مُحاضرتهِ وسط أجواء مُبهجة للقلب، مُسعِدة للنفس، ويكأنَّهم يقولونَ لهُ: لا تَحزن مُعلّمنا إنَّ اللَّهَ معنا.

جلسَ هذا العاطلُ عن العملِ يحقدُ على جاره؛ فهو يعمل ويَكدّ رُغم كونهِ يَعيش بمُفرده، وهو العائلُ لزوجهِ وبناتهِ قد تَمّ فصلهِ من عملهِ ولم يَجد آخر.

ظلَّ يُفكّرُ في طريقةٍ للحصولِ على أموال جاره، ظنًّا منهُ أنَّهُ أَولى بها منه، فَكَّرَ وفَكَّرَ وفَكَّر حتّى أهداهُ حقدهُ لسَرقته، ومن ثَمَّ التَحصُّل على مالهِ الذي لا يُعَدُّ كما يَزعُم.

مرَّ شهران وحانَ موعد التنفيذ.. دقّتْ الخامسة مساءً بتوقيتِ القاهرة، وهذا هو الموعِد الذي حددهُ اللصّ لسرقةِ جاره، اِرتدى زيًّا غريبًا وقناعًا وقفازان ثُمَّ اِخترقَ خصوصية الباب الرئيسي للشقة، دلفَ وأضاء المكان بكشّافِ هاتفه، بَحَثَ في الأربعةِ غُرف لكنَّهُ لم يَجد ما جاء لأجله، بَحَثَ في الصالة والمطبخ وحتّى الحمام لكنْ دونَ

جدوى، أخذَ يتأفأف ثُمَّ تذكّرَ الغُرفة الخامسة والأخيرة، لمعتْ عيناهُ وأسرعَ إليها.

أثناء ذلكَ عادَ المُعلّم من عملهِ بعدما أنهى يوم الهدايا؛ وهو يومٌ خَصصهُ لإهداء طلبتهِ بما يُدخل السرور على قلوبهم، فيُهديهم بصناديق هدايا نافعة ومُفيدة لهم.

أخرجَ مِفتاحهِ ودسّهُ في ثُقبِ الباب ليُفاجأ بأنَّهُ مفتوح، أسرعَ للداخلِ فأضاء المصابيح، وأخذَ يتفقد غُرفهُ حتّى رأى لصًّا مُتنكرًا، لطمهُ بقوّةٍ فأدمى وجهه، ثُمَّ أمسكَ بالقناعِ وحاولَ كشف وجههِ لكنَّهُ طعنهُ بسكينٍ كانَ يُخبأها بسُترته، لحظاتٍ وسقطَ المُعلّم على الأرض وسالَ دمه.

تذكّرَ عُمر أنَّ مُعلّمهُ قد نَسيَ هاتفهُ المحمول، حَمَلَهُ وأسرعَ إليه، تأخرَ في الوصول؛ نظرًا للإزدحام المروري الذي تُعاني منهُ القاهرة.

مَضتْ ساعتانِ وها قد وَصَلَ عُمر ليُصابَ بالذهولِ من هَولِ ما رأى!

وقفَ أمام باب شقة مُعلّمهِ مُرتَعِدَةٌ فرائصه؛ راعهُ مشهد الدِماء السائلة على الأرض، فثَبُتَ مكانهُ ولم يُحرّك ساكنًا حتّى جاءهُ حارس العقار فسندهُ وذهبَ بهِ إلى المُستشفى.

وصلا المُستشفى وصعدا الطابق السابع بالمِصعَدِ الكهرُبائي، أخذ عُمر يسير بجوارِ عم سعيد (حارس العقار)، حتّى إذا ما وصلا أمام باب غُرفة العِناية المُركّزة ورأى عُمرًا مُعلّمهُ بينَ الأجهزة هَوى أرضًا، أخذَ الطبيب المُعالِج يُطمئنُهُ أنَّ المُعلّم قد تعرّض لجُرحٍ عميقٍ لكنَّ اللَّهَ تلّطفَ بهِ فكَتَبَ لهُ النجاة.

اِستأذنَ حارس العقار عُمر في الذهابِ لقضاءِ أمرٍ ما ومن ثَمَّ العودة إليه.

أَذِنَ لهُ عُمر فذهب.

هاتفَ عُمر أباهُ وأخبرهُ بما حَدَثَ للمُعلّم فحزنَ حُزنًا شديدًا ثُمَّ جاءهُ على الفور.

أخذَ عُمر يُناجي رَبّهُ أنْ يُسلِّمَ المُعلّم ويَمُنّ عليهِ بالشفاءِ العاجل، أثناء ذلكَ أتاهُ عم سعيد بصندوقٍ صغير وأخبرهُ أنَّ المُعلّمَ قد طلبَ منهُ فِعلُ هذا قبلَ نقلهِ للمُستشفى بدقائق.

أخذَ عُمر الصندوق وشكرهُ ثُمَّ فتحهُ ليُفاجأ بقلمٍ وورقةٍ وخمسِ جُنيهات، لم يعي ما العِبرة من هذا الصندوق في بادئ الأمر، لكنْ سُرعان ما وجدَ ورقة مطوية توضح لهُ ما لم يفهمه، فتحها وقرأها ليجد أنَّ مُعلّمهُ قد أوصى لهُ بأثمنِ مُدّخراته، هذا الصندوق الذي يبدو بلا قيمة لمَن لم يَفهَم مقصده.

إلى ابني الذي لم أُنجبهُ وطالبي النجيب، عُمر المُجتهد في طَلبِ العِلم، والمُتمّسك بدينهِ والمعروف بنُبلهِ وأخلاقهِ السامقة، إليكَ بُنيّ هذا الصندوق الذي أُعِدَّهُ ثروتي وكَنزي الدفين، أعلمُ أنَّكَ ستندهش في بادئ الأمر لكنْ ستفرح حينَ تعلمُ غايته.

أمَّا عن القلمِ فهذا هو رمز الحياةِ بالنسبةِ لي، فأنا أكتبُ إذًا أنا أحيا، والكتابة مِنّة ربَّانية لإراحةِ العَبد من بعضِ أحزانه، وأمَّا الورقة فهي كَالهدفِ ناصع البياض، إنْ شئتَ ملأتها بسعيكَ وعملكَ وذيّلتها باسمك، وإنْ شئتَ تركتها فارغة ناصعة البياض بلا جدوى، وإنّي أرجو اللَّهَ أنْ تُذيّلها باسمك، وأمَّا الخمس جُنيهات فهذهِ آخر أوّل أجرٍ تقاضيتهُ مُذ عُيّنتُ مُعيدًا، فضّلتُ الإحتفاظَ بها لأنَّها تُمّثلُ بعضَ

عُمري، فلم أتحصّل على ذلكَ الأجر إلَّا بعد صبرٍ وجُهدٍ ومُعاناة ومُثابرة.

تبسمَ عُمر ودسّ الصندوق بجيبهِ ثُمَّ أكملَ مُناجاته.

على الصعيدِ الآخر تَمّ القبض على عابد رضوان مُحاسب مفصول من العمل، والمُتوَرط في جريمة سرقة شقة الدكتور سهل مسعود ومُحاولة قتله، وعليهِ فقد تَمّ اِتخاذ الإجراءات القانونية ضدّهُ وهو الآن سجين على ذمّةِ التحقيقات.

بينما قامتْ زوجهِ ببيعِ شقتهم المُلاصقة لشقةِ المجني عليه، وابتاعتْ أُخرى بمنطقةٍ بعيدة عن حي إقامتهم السابق، وأخذتْ ابنتهُ الكُبرى تبحث عن عملٍ لتَعولَ أُمّها وأُختيها.

كوكب آخر

ليتني أستطيعُ مُغادرة الأرض والذهاب إلى كوكبٍ آخر شريطةَ أنْ يكونَ مُهيَّأ للحياة؛ كي أحيا في هدوءٍ عميقٍ بعيدًا عن ضوضاءِ هذا الكوكب، أيضًا لأتنَّفسَ الهواء الطَلق الغير مُلّوث، لكنْ للأسفِ الشديدِ لا يوجد، لذا فإنَّني سأظلّ هُنا فعليَّ التأقلُم والتعايُش.

ثُمَّ طوتْ صفحة دفترها ودسّتهُ تحتَ وسادتها ونامتْ.

جاء الصباح كعادتهِ لم يَحمل لها جديد، فبعدَ أنْ تُصلّي فجرها تجلسُ بمُصّلاها تذكرُ اللَّهَ حتّى تطلع الشَّمس من مغربها، ثُمَّ تتناول وجبةَ الإفطارِ كَروتينٍ لبقائها على قيدِ الحياة، وبعدها تقرأ في أحد كُتبها التي تحتفظ بها، ثُمَّ تُشاهِدُ التلفاز لتُعمِلَ

عقلها ببرامجهِ المُفيدة والنافعة، وهكذا حتّى يُؤَذن لصّلاةِ الظُهر.

يَضيعُ عُمرها هدرًا بغيرِ فائدة، حُبِستْ بينَ جُدرانِ البيت دونَ جِنايتها، سُلِبَتْ حقوقها التي أحقَّها اللَّهُ من فوقِ سبعِ سماوات، حُرِمَتْ السماء والشَّمس والهواء الطَلق، حتّى كادتْ أنْ تنسى أنَّ الدُّنيا بها شَّمسٌ وسماء.

صّبرتْ وما حِيلة الضُعفاءِ إلَّا الصّبر، كانتْ قوية، شُجاعة، لا تخشى إلَّا اللَّه سُبحانَهُ وتعالى، مَيّزها اللَّهُ بمَيزاتٍ ربَّانية وآثرها بها دونَ سِواها، كانتْ كَالنسرِ لا يقدر أحدٌ على أخذِ ما في يدها، تُحلّقُ بجناحيها بحُرّيةٍ ولم يجرؤ أحدٌ على التقرُّبِ منها؛ لِعلمهم بقوّةِ شخصيتها ورجاحة عقلها، فهي الهادفة التي لا تَرى أمامها سِوى هدفها الذي طالما حَلمتْ به، ظلّتْ كَالنسرِ الطليقِ حتّى قُصَّ

جناحيها بيدِ والدها، وهُنا كانتْ الصدمة بالنسبةِ لها.

إنْ كانَ قَصُّ جناحيها آلمها قيراطًا فإنَّ اليدَ التي قَصّتهما قد آلمتها أربعة وعشرون، لم تَحذر منهُ أبدًا، بل لم يجيءُ بمُخيّلها أنَّهُ سيقضي عليها يومًا ما.

وممَّن تَحذر؟

من والدها؟!

أيحذرُ الفرعُ من الأصل؟

أم يَحذرُ البعضُ من الكُلّ؟

كادَ عقلها يُجنّ، كيفَ لفتاةٍ أنْ تَحذرَ من رَجُلها الذي خُلِقَتْ من صُلبه؟

ظلّتْ حائرة بعدما جُرِحَ قلبها بسَيفِ الغدر على يَدِ والدها؛ حينَ حرمها حقّها في التعليم، ومِن ثَمَّ سلبها سائر الحقوق فيما بعد، اِحتجّتْ فصُدِمَتْ من

ردّهِ الذي أثبَتَ لها أنَّهُ كما قَتَلَ قابيل هابيل، فإنَّ الوالدَ أيضًا يُمكنهُ قتلُ بَنيهِ ولا غَرابةَ في ذلكَ؛ ما دامَ الحقد هو سيّد الحدث.

رُّبما لم تَكُن تَعلمُ الكثيرَ عن حقدِ الوالد لأبنائهِ حتّى تعرّى لها حقد والدها، وهُنا توقف عقلها عن الإستيعابِ بعضَ الوقت، ثُمَّ عادَ ليُمارسَ عملهُ كما لو كانَ قد نَشِطَ من معقل.

أخبرها غيرَ مرّة أنَّهُ يَملِكُ الكثيرَ من المالِ لكنَّهُ لن يدعها تُكمِلُ تعليمها، إذ أنَّهُ لا حاجةَ لهُ بما ستَحصُل عليهِ من شهادات، كما أنَّهُ لن يقبلَ بأنْ تكونَ هي أفضلَ منه، بل ولن يَسمح بأنْ تظهرَ للعامّة؛ فهي كُلّما وضعتْ قدمها بمكانٍ وضعَ اللَّهُ لها القَبولَ بهِ فأحبَّها النّاس، وهذا لا يُرضيه.

عَلِمتْ ولأوّلِ مرّة بعُمرها ماهية الجرح؟

بل كيف يكون حقد الوالد على بَنيهِ؟

لم تشعُر مُنذُ اللحظة بطُمأنينة القلب بعدما جُرِحَ فتخثّرتْ دِماه.

لم تيأس فسلّمتْ أمورها للّه، ورَضيتْ بسوءِ القضاء طالما مَن قدّرهُ هو اللّه، ثُمَّ بحثتْ بداخلها عن بَصيصِ أملٍ فوجدتهُ بحُبِّ رَبِّها، شَدّتْ عليهِ وظلّتْ تُجاهِدُ نفسها حتّى غدتْ غير آبهةٍ بما يُحاكُ لها من مكائدٍ كفيلة بأنْ تُعطّلَ حالها بعدَ قضاءِ اللّهِ وقدره؛ أجل هُناكَ بعض الأفعال المُشينة الشركية بمقدورها أنْ تؤذي وتُعطّل الحال، وقد ذاقتْ حسناء بعضًا منها، حتّى أنَّها كادتْ أنْ تُودي بها لولا أنْ أحاطتها عِنايةُ اللطيف، فقاومتْ وقاومتْ وقاومتْ حتّى عادتْ تقفُ على رجليها بعدما تركتْ فِراش الموت.

لم تَكُن تعي ما يُدبَّرُ لها لكنَّ اللّهَ هو خيرُ الماكرين، نجّاها من المهالكِ المحتومة، وعافها من أذى

والدها، ونصرها عليهِ حينَ قرّبها إليهِ أكثرَ وأكثر، ومع مرورِ الأعوام لم تَرى للجُرحِ أثرٌ بقلبها ولا لوالدها؛ فقلبها طرّادٌ لكُلّ ما يُغضبُ الإله، ووالدها قد أغضبَ القهّار حينَ عصاهُ في الأمانة فسلبها حقوقها وظلمها، وأخيرًا يكيدُ لها المكائد بمُعاونةِ مَن أشركوا باللَّهِ فامتهنوا السِحر، وكُلّ هذا بسبب حُبُّ اللَّهِ لها.

من حينها أيقنتْ حسناء أنَّهُ لا أمانَ إلَّا مع اللَّه، بعدما حَدَثَ ما لم تتوقعه، ثُمَّ عَلِمتْ أنَّ لكُلِّ داءٍ دواء ما دامَ المرض في الجسد، فإنْ كانَ المرض بالقلبِ فلا دواء لهُ إلَّا تقوى اللَّه، كما أنَّهُ سيظلّ مريض الحقد حاقدًا ولو قدّمتَ لهُ قلبكَ على صَحنٍ ليقضمهُ فيُرضي حقده، لذا كُن مع اللَّهِ ولا تعبأ بمَن سواه.

أخرجتْ دفترها لتسطُرَ بهِ ما عَزَّ عليها تحقيقهُ واقعيًا.. دفتري العزيز حامِلُ همّي، كاتِمُ سرّي، شريك فضفضتي، أمَّا بعد.

دفتري يا مَن تحمّلتني على كُلّ حالاتي، تفكّرتُ في أمركَ فوجدتكَ أغلى ما أملك، فأنتَ وإنْ كُنتَ تبدو كَالورقِ الذي لا قيمةَ لهُ في نَظرِ البعض، إلَّا أنَّكَ تُمّثلُ بعضًا منّي؛ فقد حَبَرتُ بأوراقكَ بعضي على هيئةِ أحرُف، لذا فأنتَ منّي كَالورقِ منك.

كثيرًا ما حلمتُ أنْ أخرجُ من هذا المكان الضيّق لأرى رحابة الدُّنيا، لكنَّ الأفاعيل والمكائد تحول بيني وبينَ تحقيق حُلمي، ورُغم ذلكَ لم ولن أيأس فكما عهدتني باللَّهِ قوية، باللَّهِ شُجاعة، قلبي ينبضُ بالأمل، عقلي يشّع تفاؤل، ولينصرنّي اللَّهُ نصرًا مؤزرًا، وسأسطُرُ سنوات جبري كما سطرتُ لحظات كسري.

ظلّت حسناء تنتظر الفرج حتّى استيقظتْ ذات صباحٍ على موعدٍ مع جبرِ اللَّهِ لها؛ إذ فُتِحَ لها باب الغُرفة المُرفقة بدورةِ المياه (مَحبسها الذي حبسها فيهِ والدها)، ولأوّلِ مرّة مُذ سنواتٍ تدلف الشَّمس لغُرفتها لتُعلنَ لها بأنَّهُ لا زالتْ لديها فُرصة لتبدأ من جديد.

قد أجابَ اللَّهُ دعوتها فأخرجها من ضِيقِ والدها إلى سَعَةِ زوجها؛ ورُغم أنَّ والدها قد تعنّتها برفضِ كُلّ مَن رغبَ في الزواجِ منها إلَّا أنَّ اللَّهَ بالِغُ أمره، تقدّمَ لخِطبتها آدم بعدما سَمِعَ ما أثلجَ صدرهُ من حُسنِ سيرتها وسمتها الحَسن.

هذهِ المرّة لم يستطع والدها أنْ يرفض كما كانَ يفعل؛ لأنَّ آدمَ قد نهاهُ عن التعنّت وحذّرهُ إنْ فعلَ سيكون عُرضة للسَجنِ من قِبلِ والدهِ القاضي بالمحكمة الشرعية لتلك المُحافظة، خشي فؤاد

على نفسهِ السَجن فوافقَ على زواجِ آدم من حسناء.

مرّ شهران وحانَ الزفاف، وها هي حسناء تتزين لزوجها بعدما عُقِدَ حُبّهِ بقلبها مُذ شاهدتهُ بالرؤيةِ الشرعية وهو كذلك.

اِرتدتْ ثوبها الأبيضُ كما بشرتها الصافية، المُزيّن باللؤلؤِ والمَرجان، ووضعتْ عليهِ وشاحها الأسود كَشعرها الفاحم، ثُمَّ زادتْ زرقاواها جمالًا ببعضِ الكُحل، ونقشتْ على يديها بالحنّاء.

سويعاتٍ وكانتْ جاهزة للذهابِ إلى بيتها مع زوجها الحبيب، جاء آدم وأخذها في زَفّةٍ جميلةٍ جمعتْ كُلّ نساء عائلتهِ وعائلتها إلى حياتها الجديدة، التي ستبدأ بعد لحظاتٍ مع هديةِ اللَّهِ لها.. زوجها آدم.

رودي ما بكِ؟

رودي، رودي أينَ شردَ ذهنك؟

تنّبهتْ لصوتِ أُمّها فأجابتها: بخيرٍ أُمّي.

إذن ما سرّ هذهِ الدَمعة؟

رودي بعدما مسحتها وطوتْ الكتاب الذي بيدها:

كُنتُ أقرأُ هذا الكتاب أُمّي فراعتني قصّة غريبة لم أعهدها من قبل.

سألتها الأُمّ بفضول: وما هي؟

تنّهدتْ رودي وأخذتْ تسرد لها قصّة كوكب آخر وبطلتها حسناء فؤاد حتّى انتهتْ.

تنّهدتْ الأُمّ هي أيضًا قبلَ أنْ تُضيف: الحمدُ لِلَّهِ أنْ أرسلَ لها آدم، كُلّ شيءٍ وارد الحدوث في زماننا هذا.

تبسمتْ لها رودي ثُمَّ همستْ لقلبها: أمَّا عنكَ فلا تقلق سيُرسِلُ اللَّهُ لكَ مَن يَليقُ بك.

وأخيرًا وجدتني

نشأ في بَيتٍ يُقدِّرُ العِلم ويُجلّ العُلماء، هَوَى القراءةَ مُنذُ صِغره، حَفِظَ كتابَ اللَّهِ العظيم، اجتهدَ في طلبِ العِلم، كما كانَ يَسيرُ على عَينِ أباهُ الشيخ المُعلّم إبراهيم.

أضحتْ القراءة همَّهُ الوحيد بعدَ استذكار دروسه، ظلّ صاحبُنا يقرأ ويقرأ ويقرأ حتّى قرأ عددًا كبيرًا من الكُتبِ المُتنوعة، وهو لم يتجاوز السادسةَ عشرَ بعد.

فكّرَ كثيرًا كيفَ يُمكنهُ إخراج بعضًا من مَكنونِ ما أوهبهُ اللَّه، حتّى اهتدى لقرارٍ رشيدٍ وهو أنْ يكتُبَ في مجلّة الأزهر؛ إذ كانَ أزهريًا.

فكتبَ مقالهُ الأوّل وهو ابنُ سبعةَ عشرَ عامًا، ورغم سنّهِ الصغير إلَّا أنَّهُ تَفوّقَ في كتابته، ما جعلَ مقالهُ يُنشرَ ضِمنَ عدد مجلّة الأزهر، فَرِحَ

صاحبنا بكرمِ اللَّهِ له، وراحَ ببراءةِ قلبهِ يُطلِعُ مُعلّمهِ للُغةِ الإنجليزية ليُشاركهُ فرحته، لكنَّ المُعلّمَ قد خَلَفَ ظنَّه؛ إذ لم يُبدي أيّ إعجابٍ بقلمِ تلميذه، والذي هو أهلًا لهذا الإعجاب، بل نَظَرَ إليهِ بكِبرٍ قبلَ أنْ يُضيف: لعلَّ الشيخ فُلان ابنُ بلدتكَ هو مَن توّسطَ لكَ ليُنشرَ مقالك!

ألم يَعلم هذا المُعلّم أنَّ جَبر الخواطر على اللَّه؟

ماذا لو تصدّقَ عليهِ بكلمةٍ طيّبة، أكانتْ ستَتَسبّبُ في موتهِ؟

أينَ هو من أخلاقِ المُعلّم؛ حيثُ التشجيع والدعم وإعطاء مِقدارًا من الأملِ للتلاميذ؟

ألم يعلم مدى تأثير الكلمة على النَّفس، خصوصًا في هذهِ السِن الخَطِرة من عُمرِ الإنسان؟

ضاقَ صدر صاحبنا لسماعهِ كلماتٍ من شأنها أنْ تُثّبط همّته، لكنَّهُ لم يرتكن لِما ألَّمَ بقلبهِ من خُذلانِ

مُعلّمه، فطوى قلبهُ على جُرحهِ وراحَ يقرأ ويقرأ ويقرأ حتّى غدا مُميّزًا بينَ أقرانه، كما لم ينضب مِدادَ قلمهِ بل زادَ في الكتابةِ وأتقنها.

تَفوّقَ صاحبنا في الثانويةِ الأزهرية ثُمَّ التحقَ بالجامعة، وبعدَ أربع سنواتٍ تخرّجَ صاحبنا ليَشُقَّ طريقهِ في المجالِ الأقربُ إلى قلبهِ والأحبُّ لنفسه، مجال الصحافة.

ظلَّ صاحبنا الطَموح يبحث هُنا وهُناكَ عن عملٍ يَليقُ بما لاقاهُ من نَصبٍ ووصبٍ طِيلة سنوات الدراسة، في بادئ الأمر لم يَجد، لكنَّهُ بكُلِّ تأكيدٍ لم ييأس، وأخذَ يسعى ويسعى حتّى أخبرهُ أحدُهم أنَّ عليهِ الذهاب لإحدى الجرائد؛ كي يُقابِل أحد أعضاء مجلس إدارتها، ومن ثَمَّ يُعيّن بإحدى وظائفها، اِنفرجتْ أساريرهُ وظنَّ أنَّهُ قد وجدَ ما كانَ يبحث عنه.

مَضى يومانِ وحانَ موعِدِ المُقابلة، ارتدى صاحبنا بذلتهُ المُتناسقة، وحذاءهُ اللامع، ليبدو حَسن الهِندام.

ذهبَ وجلسَ ينتظر حتّى حانَ دوره، دلفَ وفي مُخيّلتهِ أنْ يَلقى ترحابًا وحفاوة، لكنَّ ذلكَ لم يحدُث؛ إذ لاقى فتورًا وعدم تقدير من قِبلِ مَن أتى لمُقابلته، أخبرهُ بأنَّهُ قد جاءهُ بُناءً على رغبةِ فلان، لكنَّهُ لم يُعرِهُ أيّ اِنتباه، ولوّحَ بيدهِ ثُمَّ أضاف: ليسَ لدينا وظائف خالية، وعادَ يبحث في أوراقهِ عن شيءٍ ما في إشارةٍ منهُ بانتهاء المُقابلة.

لم ييأس صاحبنا من سوءِ القضاء، ورَضِيَ بما قدّرهُ اللَّهُ سُبحانَهُ وتعالى، وظلَّ يسعى ويسعى ويسعى مُتسلّحًا بالدُعاء، وآخذًا من الكتابِ رفيقٍ

له، وجاعلًا ما يُلاقيهِ من تعنُّتٍ وقودَ قلمهِ الوّهاج.

أرادَ اللَّهُ لهُ الخيرَ فكانَ سفرهِ لإحدى الدول العربية الشقيقة؛ حيثُ لاقى التقدير الذي يستحقّهُ هُناك، وأخذَ اسمهُ في البزوغِ حتّى عُرِفَ وعُرفَ قلمه.

أثناء سنوات إقامتهِ هُناكَ عَمِلَ في إحدى الجمعياتِ الخيرية، وذات يومٍ ذهبَ إلى عملهِ ففوجئ بمجموعةٍ من الكُتبِ تبّرعَ بها أحدهم لتُوزّعَ على المكتبات، لم يصعد لمكتبهِ بل هرع إليها يتبيّنها؛ وما ذاكَ إلَّا لشدّةِ نَهمهِ للقراءةَ وحُبّهِ لها، فوقعَ بيدهِ كتابٌ لصاحبِ القلم الرحيم الأستاذ عبد الوهاب مطاوع، أخذَ يتصفحهُ فإذ بقلبهِ يهفو لباقي ما ألَّفَ الراحل _رَحِمَهُ اللَّه_ ومن هُنا كانتْ البداية، بداية الحُبّ الخالص لوجهِ الرحمٰن، من

قلبِ تلميذٍ لمُعلّمهِ وإنْ كانتْ الكُتب هي نبتةُ هذا الحُبّ.

ظلَّ صاحبنا يقرأ للأستاذ عبد الوهاب مطاوع حتّى أنهى جميع ما كتبهُ، ثُمَّ أعادها ثانية وثالثة وعاشرة، وحَزِنَ لموتهِ أيُّما حُزنٍ لكنَّ سلواهُ ما تحويهِ مكتبتهُ من مؤلفاتِ الراحل رَحِمَهُ اللّه.

أرادَ أنْ يشكرَ التلميذ مُعلّمهُ فكتبَ فيهِ ترجمةً راقية، ما قرأها قارئٌ إلَّا وأثّرتْ في وجدانه.

كما اعتمدَ التلميذ على الاستدلال بمقولاتِ مُعلّمهِ في مُختلَفِ كتاباته؛ وحُقَّ لهُ ذلكَ فمقولات الأستاذ عبد الوهاب مطاوع إنْ أُضيفتْ لنصٍّ أثرته، لعدمِ خُلّوها من العِلمِ والإيمانِ والحِكمة.

عبد الوهاب مطاوع كانَ إنسانًا بكُلِّ ما تحملهُ الكلمة من معاني.

لم يعبأ صاحبنا لمجدٍ أو شُهرة؛ فما يَعنيهِ هو أنْ يَصِلَ العِلمُ إلى أكبرِ عددٍ من النَّاس، ليكونَ قد أدى الأمانةَ التي يحملها قلمه، والتي هي رسالةٌ سامية لا يُنكرها إلَّا جاهل أو حاقد.

كما يَعلمُ عِلمَ اليقين أنَّ للقلمِ رسالة لا بُدَّ من تبليغها بالوجهِ الذي يُرضي اللَّهَ سُبحانَهُ وتعالى، وكذا كانَ الأستاذ عبد الوهاب مطاوع _رَحِمَهُ اللَّه_ يُنّوه أنَّ الكلمة أمانة.

قلم رصاص

ذهبتْ إلى عملها بعدما أفطرتْ مع والدتها، دلفتْ مكتبها وجلستْ على مِقعدها المُتحرك، ثُمَّ أخرجتْ بعض الأوراق وأمسكت بقلمها كتبت بعض الكلمات، ثُمَّ ضغطت على زرٍ فجاءها مُطاوع.

عم مُطاوع صباحُ الخير.

صباحُ النور أُستاذة أروى.

هل أعددت ليَّ القهوة؟

حالاً سآتي بها لحضرتُكِ.

ثُمَّ نظرتْ لصورةِ والدها المُزَيّن بها مكتبها وأضافتْ: رَحِمَكَ اللَّهُ يا أبي قد كنتَ فارسًا وسلاحُك القلم الحُرّ.

طَرَقَ مُطاوع الباب مُستأذنًا في الدخول.

أَذِنَت لهُ فدلف.

أعددتُها مضبوطةً كالعادة، تَفضلي بُنيّتي.

أروى: سَلِمتْ يداك عم مُطاوع.

مُطاوع: بالهناء والشفاء، ثُمَّ غادر.

جاء للجريدة خبرًا يُفيد بسرقة إحدى الشركات الكُبرى، فذهبت أروى لموقعِ الحادث لتغطية الخبر؛ كمسؤولٍ عن قسمِ الحوادث بالجريدة.

أنا برئ يا حضرة الضابط، يعلمُ اللَّهُ أنَّي برئ ولا دخلَ لي بما حدث.

إذا سمحتَ حضرة الضابط: أنا أروى محمود صحفية، ما تُهمة هذا الرجل؟

رَدَّ الضابط: أهلًا، هذا الرجل موظفٌ بهذهِ الشركة ومُتَهَمًا بسرقتها، إذا سمحتِ تَنَّحِي جانبًا.

تَفضل حضرة الضابط تفضل.

ثُمَّ سألت أروى أحد العاملين عن المتهم، وعلى هذا اِستطاعت التعرُف على شخصيتهِ نوعًا ما.

عم إبراهيم ساعي الشركة يبلغ من العُمر خمسونَ عامًا، ويعمل بها مُنذُ سنوات، يتمتع بسُمعة طَيِّبَة في عمله، ومحبوب من الجميع.. حسنًا إذًا.

لقد تأخرَ الوقت أُستاذتي الجميلة!

أروى: أهلًا بك عم مُطاوع، لقد جهزتُ أوراقي لعمل غدٍ إنْ شاء اللَّه، والآن سأذهب إلى البيت، أتُريدُ شيئًا عم مُطاوع؟

سلامتُكِ أُريد.. ليحفظكِ اللَّهُ بُنيّتي.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ تاجَ رأسي،

أروى: أُمّي عُذرًا على التأخير.

الأُمّ: لا عليكِ بُنيّتي، هيّا لنأكلَ سويًا.

أروى: حسنًا أُمّي، سأُبدّل ثيابي وآتي.

الأُمّ: ولكن لا تتأخري أروتي حبيبتي.

أروى: حسنًا أُمّي، سأفعل.

تناولاتا طعامهما ثُمَّ خلدتا للنوم.

وفي الصباحِ ذهبتْ أروى إلى عملها، وما أن وصلت حتّى أخبرها مُديرها في العمل أنَّهُ قد حجز لها موعِدًا مع المُتّهم بسرقة الشركة قبل عرضهِ على النيابة.

سُرَّت أروى بما سَمِعَت وأعدَّت عُدّتها ثُمَّ ذهبتْ إلى قسم الشرطة.

أُستاذة أروى محمود تفضلي، لكِ ربعُ ساعة من الوقت.

أشكرك حضرة الضابط.

السلامُ عليكَ عم إبراهيم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

وعليكِ السلام والرحمة أُستاذة أروى.

أحضرتُك تعرفُني؟

ومَن لا يعرفُ وريثةُ أبيها في القلمِ الحُرّ.

وهل تعرفُ أبي؟

كيف لا أعرفُ محمود السعودي؛ وقد كان أشهر من نارٍ على عَلَمٍ، رَحِمَهُ اللَّه.

أروى: رحمهُ اللَّه، عم إبراهيم أُريدُ معرفة ما حَدَثَ بالضبط إذا سمحت لي.

عم إبراهيم: بالطبعِ بُنيّتي.. يوجد في الشركة بعض الأجهزة الإلكترونية باهظة الثمن المُؤَّمنة من قِبل بعض شركات التأمين، وقد تَمَّ نقل إحداها للمخزن ولم يكن مسؤول المخزن موجوداً ليُباشر النقل؛ فقُمتُ بعملهِ بأمرٍ من صاحب الشركة لثقتهِ بي، بعدما تَمَّ إيداع حاوية بها جهاز إلكتروني أغلقتُ المخزن وأعطيتُ المفاتيح للمهندس هيثم ابنُ صاحب الشركة وعضو مجلس إدارتها، وذهبتُ بعدها لأُباشر عملي، بعدها بيومينِ فوجئتُ بإتّهامي بالسرقة من قِبل المهندس هيثم، وقد أبلغ عنّي الشرطة وحَدَثَ ما حدث.

عم إبراهيم هل تَشُكُّ بأحد؟

لا يا ابنتي فالجميع يُحبونني وأنا كذلك أُحبهم.

أروى: فَرَّجَ اللَّهُ همَّك عم إبراهيم.. أتُريدُ منّي شيئًا قبل أن أذهب؟

عم إبراهيم: شكرًا لحضرتُكِ .

أنهتْ الزيارة وذهبتْ لمُقابلةِ صاحب العمل.

من فضلك أُريدُ مُقابلة المهندس عزّت صاحب الشركة.

مَن حضرتُكِ؟

وهل هُناكَ موعد سابق للمُقابلة؟

مع حضرتُكَ أروى محمود صحفية، ليس لديَّ موعد، المعذرة، كُلّ ما أحتاجهُ هو ربعُ ساعة فقط.

إنتظري حتّى أُخبرَ حضرته.

استدارتْ لتُلقي نظرة على مكتبِ سكرتير رئيس مجلس الإدارة.. لحظاتٍ وسَمِعَتْهُ يُناديها: أُستاذة أروى.

نعم.

تفضلي بالدخولِ مُشيرًا لها بيده.

شكرًا.

على الرُحب والسعة.

دلفتْ فوجدتْ المُهندس عزّت ينتظرها، قامَ إليها مُرّحبًا: أهلاً وسهلًا تفضلي بالجلوس.

أروى: شكرًا لذوقكَ الرفيع حضرة المهندس.

المُهندس عزّت: مُؤَكَد أنَّكِ أتيتِ بخصوص واقعة السرقة.

فأومأت بالإيجاب.. فأردف: ولكن ليس لدينا جديد كي نُخبركِ به.

أروى: أعلمُ ذلك لذا أتيتُ لأُخبر حضرتك!

المهندس عزّت: قبل أيُّ شيء تفضلي العصير.

أروى: سَلِمتْ يداك حضرة المهندس.

المُهندس عزّت: بالهناءِ والشفاء.

شَرِبَت أروى العصير ووضعت الكوب جانبًا ثُمَّ أكملت حديثها : قد عَلمتُ بأمانة عم إبراهيم وثقة حضرتُك به.

المُهندس عزّت مُقاطعًا: نعم فبيننا عِشرة عُمر.

أروى: إذًا كيف تُصدِّق ما لُفقَ له؟

المُهندس عزّت: لأنَّ الأدلة تُدينهُ، وماذا عن لُفِّقَ له.. أتعرفينَ مَن فعل ذلك؟

أروى: رُّبما ولكن بمساعدة حضرتُك سأتأكد.

المُهندس عزّت: كيف؟!!

أروى: عَلمتُ بأنَّ الجهاز المسروق مُؤَّمَن عليه فهل هذا صحيح؟

المُهندس عزّت: نعم، وقد أخبرتُ الشركة بمّا حَدَثَ وجاري اِتخاذ إجراءات التعويض.

أروى: وما رأيُ المُهندس هيثم؟

المُهندس عزّت: وما عَلاقة هيثم بهذا الأمر؟

أروى: المُهندس هيثم مُحَاطٌ بالشُبهات، أعلمُ أنَّ ما أقولهُ صعبٌ ولكنَّهُ واقع!

المُهندس عزّت غاضبًا: ماذا تقولينَ أنتِ؟

لا تُفقديني صوابي.

أروى: تَمَالك أعصابك حضرة المُهندس.. تفضل الماء.

المُهندس عزّت بعدما شَرِبَ الماء: شكرًا، أنتِ لا تعرفي هيثم ابني فلا تتهميهِ بما هو ليسَ أهلًا له.

أروى: أعتذرُ لحضرتك، ولكن إذا لم يكن هيثم فمَن إذًا؟

وهو مَن تَسلّم المفاتيح من عم إبراهيم بعدما تَمَّ إيداع الحاوية بداخل المخزن، الحاوية... نعم الحاوية، حضرة المُهندس أهُناك موظفٌ مُخصص لنقل الحاويات بالمخزن؟

المُهندس عزّت: نعم، الأُسطى عبده.

أروى: إذًا كَلمةُ السرّ الأُسطى عبده.

المُهندس عزّت: كيف.. كيف يا ابنتي؟!

أروى: أنصت إليَّ حضرتُك، الأُسطى عبده هو المسؤول عن الجهاز المسروق؛ فإمّا أنَّهُ سُرقَ قبل أن يُوضَع بالحاوية وحينَ نَقَلَ الحاوية شعر بإنعدام وزن الجهاز فخشيَ من السؤال، فالتزم الصمت، وإمّا أن يكونَ الجهاز قد سُرقَ بعِلمهِ وتَقَاسَمَ أجرًا مع السارق وضَحَّىَ بزميلهِ إبراهيم!!!

المُهندس عزّت: إذا صَحَّ ما تقولينهُ فقد ظُلِمَ عم إبراهيم.. ولكن كيف نعرف؟

أروى: دع هذا الأمر لي؛ فلديَّ خبرة في كيفية التعامل مع مِثلها مِن الوقائع.

المُهندس عزّت: كما تُريدين، فليُعنكِ اللَّه.

أخذتْ أروى تُجري بحثها على الأُسطى عبده وحالتهِ المعيشية كيف كانت وكيف أصبحت؟ وتأكدَ ظَنُّها حينَ عَلِمَت من زوجهِ بأنَّهُ مُحدثُ غِنًا؛ وعلى الفورِ ذَهبتْ لوكيلِ النيابة وأخبرتهُ بكُلِّ شيء.

اِتخذ وكيل النيابة الإجراءات القانونية اللازمة معهُ؛ فقُبضَ عليه أثناء ذهابه لشركة التأمين لمُقابلة موظفٍ هُناك؛ واعترف بأنَّهُ مَن سَوَّلَ لهُ بأن يَتوهم بوجود الجهاز داخل الحاوية، في حين

أنَّ الموظف قد سرقهُ وقام ببيعهِ وإعطاء الأُسطى عبده مبلغاً مالياً ليَسُدَّ فاهُ عن الحقيقة.

شَكَرَ وكيل النيابة أروى على شجاعتها في الحقّ، وخرجَ عم إبراهيم المُتّهم البرئ وكَرَّمهُ صاحب الشركة المُهندس عزّت.

عادتْ أروى إلى البيتِ بعد يومٍ طويلٍ تناولتْ طعامها ثُمَّ ذهبتْ لغرفتها، وقبل أن تنام فتحتْ خزينة ملابسها وأخرجتْ منهُ صندوقًا عتيقًا، فتحتهُ فإذ بهِ قلم رَصاص أمسكتهُ ثُمَّ أخذتْ تُحدّثُ نفسها: رَحِمَكَ اللَّهُ يا أبي، فقد أحببتُ الصحافة مُذ أهديتني هذا القلم؛ حينَ كتبتُ مقالي الأوّل صُدفة أليمة.. رَحِمَكَ اللَّهُ يا أبي يا قطين فؤادي.

قلب غريب

أنهى عملهُ وجلسَ ليستريحَ بعض الوقت فرأى بعض أصدقائه يسيرونَ بصُحبةِ أبنائهم، ورأى آخرون يفتتحونَ محلًّا للأدواتِ الصحيّة، فدارتْ في نفسهِ الأسئلة.. ماذا تفعل في الدُّنيا غريب؟

أَمَا يكفيكَ خمسة وثلاثون عامًا مَضينَ فيها، إلى متى ستظلُ هكذا؟

إلى متى ستعيشُ وحيدًا؟

إلى متى..... وإلى متى..... وإلى متى؟

ثُمَّ تَنَّهدَ بصعوبة زافرًا مَرارة عيشهِ وكَفَّ عن حديثه لنفسهِ مُتجهًا إلى سكنه.

مساءُ الخيرِ غريب.

مساءُ الخيرِ حمادة كيف كان عملك اليوم؟

حمادة: الحمدُ لِلَّهِ على ما يُرام وأنت؟

غريب بعدما تنّهدَ تنهيدة حارّة: أنهيتُ عمل المطبعة أنا وزُملائي اليوم، وغدًا لديّ عملٌ آخر في بيت عبده؛ كي أُزخرف لهُ شقة ابنه بالنِقاشة و.....

حمادة مُقاطعًا: ما هذا الصوت؟

غريب وقد سلّطَ سَمعه نحو الصوت: اصمت للحظة.. حماده إنَّهُ صوت بُكاء طِفلة؛ لرُّبما آتيًا من الغُرفة المُجاورة لغُرفتك!!

حمادة: أجل إنَّهُ كذلك غريب.

غريب مُهرولًا نحو الصوت ليجد جارهُ عدلي يضربُ ندى _يتيمةُ الأبّ ابنة زوجهِ_ ضربًا مُبرحًا، فما كانَ من غريبٍ إلَّا أن أمسكَ بتلابيبهِ حتّى أنقذهُ رجال الشارع؛ ليَفَرَّ هاربًا تاركًا سكنه والمنطقة بأسرها.

هَدَّأ غريب من روع الطفلة ذات الخمسة أعوام، ثُمَّ تَولَّى كفالتها لحين خروج والدتها من المَحبس؛ فقد تَمَّ القبضُ عليها نظير وصل أمانة مُقابل مبلغًا من المال أخذتهُ لزوجها، ولم تستطع السداد فقدّم صاحب الدَين الوصل للنيابة.

ندى لا تخافي ولا تبكي فقد أصبحتِ بكفالة غريب؛ سأعوّضكِ عن ما أوجعكِ، ابتسمت لهُ وأضافت: تُصبِحُ على خيرٍ غريب أبي.

رَدَّ عليها غريب: لا قبل أنْ تتناولي ما جلبتُ لكِ من طعامٍ وحَلوى.

مَرّت الأيَّام وتعلقتْ ندى بغريب وتَعلّقَ هو بها.

غريب: ندى أُريدُ الذهاب إلى العملِ غدًا يكفي ما أضعتُ من أيَّام.

ندى: لا تذهب أبي وتتركني وحيدة.

غريب: إذًا مِن أين سنأتي بالطعام والشراب؟

ندى: مِن البَقّال؟

غريب ضاحكًا: ندى سأتركِكِ عند آدم صاحبي تلعبي مع أبنائهِ حتّى أعود من العمل.

وعلى هذا الحال مَرَّ شهران.

ندى سنزور أُمّكِ اليوم فلترتدي هذا الثوب الأخضر الجميل.

ندى بعدما أخذتهُ: حسنًا أبي.

حمادة.. حمادة هيّا قد تأخرنا فلدينا مسافةٌ لا بأسَ بها.

حمادة: حسنًا غريب هيّا بنا الآن.

ندى فلذتي اِشتقتُ إليكِ حبيبتي واحتضنتها.

حمادة هامسًا لغريب: قُل لها شيئًا.

غريب: أمّ ندى فَلتَهدأي سيُدّبرها اللَّهُ.. لا تقلقي.

أُمّ ندى: سَترَكَ اللَّهُ كما سترتَ ابنتي.

غريب: الستّار هو اللّه، وابنتُكِ أمانة في رقبتي حتّى تخرجي سالمة لتأخذيها.

أُمّ ندى: سأفعلُ وسأتطلق من عدلي لا بارك اللّهُ فيه.

حمادة: خيرًا فكّرتِ .

غريب: كُلّهُ على اللّهِ هَيّن.

انتهتْ الزيارة وعادَ الزائرون لسكنهم.

بعد شهرٍ من الزيارة أُخليَ سبيل والدة ندى؛ بعدما جمع بعض رجال الشارع المبلغ وأَعطَوهُ للدائن.

ندى مسرورة: أُمّي أتت.. أُمّي أتت.. أبي غريب قد أتت أُمّي.

غريب مُبتسمًا: لا فَرّق اللّهُ جمعكما.

أُمّ ندى: لا حرمك اللّهُ الستر والرضا.

أخذتْ أُمّ ندى طفلتها وسكنتْ بغُرفة زوجها عدلي الذي لم يُطلّقها بعد.

وعادَ غريب لعملهِ ورُغم ذلك لم ينشغل عن الإهتمامِ بالطفلة ندى.

عدلي.. عدلي ألم تعلم بأنَّ زوجكَ قد خرجتْ من المحبس؛ وهي الآن في غُرفتك القديمة، وتَنوي إقامة دعوة قضائية مطالبةً فيها بالطلاق منك.

عدلي مذبهلًا: هكذا إذًا شكرًا لك دسوقي.

دسوقي: وماذا تَودُّ أن تفعل الآن؟

عدلي: غدًا ستعلم.

دسوقي: كما تُريد.

تَركَ عدلي دسوقي واختلى بنفسهِ الأمّارة بالسوء.. خرجتْ من المحبسِ وتُريدُ الطلاق، أبهذه السهولة؟

سأجعلكِ تَكرهينَ يوم قَبلتِ الزواج منّي.

غريب: صباحُ الخيرِ حمادة.

حمادة: صباحُ الخيرِ غريب.

أُمّ ندى: صباحكما خيرٌ ورزق.

غريب: صباحكِ رضا ونور أُمّ ندى.

تَفضلي هذا إفطارُكِ أنتِ وندى.

أُمّ ندى:سَلِمتما وبارك اللَّهُ فيكما.

حمادة: نستأذن الآن.

أُمّ ندى مذعورة: عدلي.

غريب وحمادة: قد جِئتَ إذًا.

عدلي صارخًا بكل قُواه: شرفي الذي دُنِّس، عِرضي الذي هُتك!

حمادة ناظرًا لغريب وغريب ناظرًا لأُمِّ ندى.

أُمّ ندى: ماذا تقول أيُّها الظالم؟

عدلي: أقولُ ما سمعتما فأنتِ وغريب قد دنّستما شرفي!!

أُمّ ندى وقد غلبها الدمع: لَعنَك اللَّه.

غريب مُحاولًا ضرب عدلي لولا تدخل حمادة بمنعهِ مِن ذلك.

غريب ناهراً عدلي: وماذا يُتوَقع مِن دَيّوثٍ مُدمنٍ للمُسكرات مِثلك.

عدلي مُتظاهرًا بالبُكاء: سأهبطُ إلى الشارع ليحكم النّاس بيننا.

أُمّ ندى: اللهمَّ عليكَ بهِ فقد قذفني بالباطل.

وأثناء ذلك جاء آدم صارخًا مذعورًا: أنتم هُنا ولا تعرفون ما حدثَ لندى؟

سألهُ غريب: ماذا حَدَثَ آدم؟

آدم وقد ذرفتْ عيناه: قد سقطتْ في بالوعة الصرف الصِّحي _الغير مُغطاة _ إذ كانت تَركُضُ مُتجِهةً إليَّ لأفُضَّ الإشتباك الذي سَبَّبهُ عدلي.

أُمّ ندى وقد أمسكت أيسر صدرها صارخةً: بُنيّتي.. نددددددددددددددى.

العدد في الليمون

وَضَعَ ليمونه الأخضر بجرابٍ صغير، ثُمَّ حَملهُ على عاتقهِ وذَهَبَ إلى سوقِ المدينة؛ حيثُ التجمُع الهائل للباعة والزبائن.

اللهمَّ ارزقني برزق زوجتي وولدي.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

وعليكم السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ.. تفضل عمّ، كم من الليمونِ تُريد؟

أنا عيسى ثُمَّ جلسَ بجانبهِ وهَمَسَ لهُ: بعشر حسناتٍ ليمون!

تعجبَ صبري ثُمَّ سألهُ التوضيح فرَدَّ: الليمونة الواحدة بحسنة والحسنة بعشر أمثالها واللَّهُ يُضاعفُ لمَن يشاء.

قَبّلَ صبري رأسهُ وأضاف: ولكنَّني لم أبيعَ بجُنيهٍ واحدٍ فكيفَ لي بالتصدُق؟

تبسمَ لهُ عيسى وأردف: تصدق بما تملك ولا تستهين بهِ ولدي.

أومأ إليهِ مُستحييًا وأضاف: ولكنَّني أخجل أن أتصدّق بمُجرد ليمون شيخ عيسى.

ربت على كتفهِ بحنانٍ أُبوي وأضاف: لا تخجل ولدي فالعدد في الليمون.

لم يعي صبري مقالتهُ ولكنَّهُ فَعلَ كما نَصحهُ؛ فاقتسم الليمون بينهُ وبينَ الشيخ عيسى، وما أن ذَهبَ عيسى حتّى باعَ صبري ما عِندهُ من الليمون، فأغلق جِرابه، ودَسّ جُنيهاتهِ بجيبهِ وعادَ فَرِحًا إلى بيته.

دَسَّ مِفتاحهِ بثقب الباب ففتحهُ ودلف.

صبري حبيبي قد جئتُكَ بميراثي من أبي ثُمَّ تعلقت برقبته.

قَبّلَ جبينها ثُمَّ أزال يداها وأردف: سميرة هو لكِ فلتدّخريهِ.

سميرة: ولكنَّني أُريدُكَ أن تكونَ شريكي في التجارة.

صبري: تجارة ماذا؟

سميرة: تجارة الخُضَر والفاكهة.

صبري: أوتُجيدينَها سميرة؟

سميرة: بالطبعِ أجل، أنسيتَ أنَّي ذات ثانوية تجارية؟

صبري: حسنًا حبيبتي إذًا ما هو دوري؟

سميرة: ستكون رئيس مجلس إدارة مَحِلّ الخُضَر، وأنا سأتوّلى مَهام مَحِل الفاكهة.

صبري: ولماذا لا نجعلهُما معًا؟

سميرة: يُمكن ذلك فيما بعد أمّا الآن فلا يجوز.

صبري: ولِمَ أُمّ مسعود؟

سميرة: حتّى نُكثِر من الزبائن.

صبري مُبتسمًا: حسنًا قد فهمت.

مَرّت الأيَّام ونَمتْ تجارتهما، فأصبَحَ المَحِلّان سلسلة مَحِلّات لتجارة الخُضَر والفاكهة.

ونتيجةً لأسلوبهم المُميّز وحُسن مُعاملاتهم، وجودة منتجاتهم، واِنخفاضِ أسعارهم، فقد فازتْ شركتهم في مُسابقةِ أفضل شركات تجارة خُضَر وفاكهة على مستوى العالم العربي.

حَضَرَ صبري نائبًا عن الشركة بصفتهِ رئيس مجلس إدارتها، أستقبلوهُ بحفاوة، وتَمَّ توجيه الأسئلة إليهِ، أجابها جميعًا عدا سؤال واحد؛ استوقفهُ فبكى ثُمَّ أردف: قد كنتُ فقيرًا لا أملك سوى اِمتهاني لبيعِ الليمون الأخضر، فلمّا وَرِثَتْ زوجتي، جاءتني بميراثها واقترحتْ عليَّ إنشاء مَحِلّان أحدهما للخُضَر والأخر للفاكهة، وتولّيتُ

رئاسة مَحِلّ الخُضَر، وتَولّتْ هي رئاسة مَحِلّ الفاكهة.

مضتْ خمس سنوات وقد أصبح لدينا شركة سلسلة مَحِلّات لبيعِ وتغليفِ وتصديرِ الخُضَر والفاكهة، وأمَّا عن فوزي وما أنا فيهِ الآن فالفضل لِلَّهِ الذي أنعمَ عليَّ آنفًا ببيعِ الليمون الأخضر.

فقد كنتُ فقيرًا لكنَّني لم أنَسى يومًا التصدُّق قدر اِستطاعتي، وذات يومٍ أردتُ التصدُّق ولم أكُن قد بعتُ شيئًا من الليمون، فاستحييتُ أنْ أتصدقَ بليمونٍ أخضر، نَظَرَ إليَّ السائل مُبتسماً ثُمَّ قال: لا تخجل ولدي فالعدد في الليمون، ثُمَّ أَخَذَ بعض الليمون وذَهَب.. لم أعَي مقالته.

مَرَّ عامان وقد جاءني السائل بعدما أصبحتُ تاجرًا معروفًا، ضَحِكَ وسألني أَمَا تَودُ معرفة العدد في الليمون؟

أجبتُهُ مُتلهفًا: بلى.

قال مُبتسمًا: حينَ أتيتُكَ ولم أَجِد معكَ سوى الليمون، أخذتُهُ ثُمَّ ذهبتُ بهِ لعددٍ لا بأس بهِ من المُحتاجين، أخذوهُ وقاموا ببيعهِ، ثُمَّ رأيتهم كُلّما بَاعَ أحدهم ليمونه رَفعَ يديهِ إلى السماء داعيًا لكَ بالرزق والبركة، حتّى دَعوا لكَ جميعًا، فعلِمتُ حينها أنَّ اللَّهَ كافيكَ لا مَحالة.. وها أنتَ الآن كما تَرى، فلا تَنسى يومًا أنَّ العددَ في الليمون.

مسروق

اِنتصبَ واقفًا ليمسحَ عن وجههِ غُبارٍ أصابهُ إثر هبوب الرياح، أخذ يتلفت يمينًا ويسارًا حتّى انفرجَ فاهُ فتساءل: يا إلهي أينَ أنا؟

وما هذهِ الأصوات؟

سعد لتحمل عنّي هذه الأواني.

أعطينيها رافع، يا اللَّهِ ما أثقلها!

رافع: لا حِيلةَ لنا، هكذا أرادتْ حماتُك.

سعد: صدقت رافع وأينَ حماتي الآن؟

رافع: ذهبتْ مع آمنة بصُحبةِ النساء للحمّام العام.

سعد: إذًا ستُزيّن ليَّ العروس ثُمَّ ضَحِكَ في خَجل.

رافع: أتمَّ اللَّهُ زواجك على خيرٍ سعد.

سعد مُبتسمًا: آمين والعُقبى لكَ رافع صِهري الغالي.

هيّا لنُهيّأ الغُرفة ففي المساءِ الزفاف سعد.. ثُمَّ دَلَفَا البيت.

ما هذا المكان؟

ومَن هؤلاء النَّاس؟

ولماذا يرتدونَ هذهِ الثياب عتيقة التصميم؟

ثُمَّ نَظَرَ لنفسهِ فإذ بهِ يرتدي مثلهم!

صَرَخَ وكَتَمَ صوتهُ بداخلهِ حتّى لا يسمعهُ أحد.

ليتَني لم أُجرّب.. ليتَني لم أُجرّب.

ربتَ على كتفهِ بحنانٍ وأردف: صباحُ الخيرِ يا هذا.

ردَّ: صباحُ الخير.

سألهُ: مَن تكون؟

أجاب: أنا إنسان.

تبسمَ قبلَ أن يُضيف: أعلمُ ذلك.. أقصد مِن أينَ أتيت؟

أجاب: أتيتُ مِن آخرِ الدُّنيا.

حسنًا وما اسمُك؟

مسروق.. اسمي مسروق.

يا لهُ مِن اسمٍ غريب!

نعم سَيّدي، فقد سُرِقتُ مِن أهلي في صِغري فأصبحتُ مسروقًا.

ولماذا أتيتنا؟

لا أدري سَيّدي.

رُّبما لديكَ سرّك الخاصّ، لا عليك، وأنا لستُ سيّدك، يُمكنُكَ مُنادتي بعمّي جعفر.

مسروق: شكرًا لكَ عَمّي جعفر.

جعفر: هيّا بنا الآن.

مسروق: إلى أين؟

جعفر: إلى بيتي، ستُقيم معي في بيتي.

مسروق: ولكن عَمّي جعفر.....

جعفر: لا تَقُل شيئًا، ستُقيمُ معي بحُكمِ أنَّك ابنُ أخي الغائب مُنذُ زمن.

وفي المساء.. جلسَ على مِقعدٍ من الخشب وارتدى نظارتهِ الطبيّة ثُمَّ فَتَحَ كِتابًا قديمًا وأخذ يسرد لهم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم، سنبدأ جِلسة الحكاوي....

كانَ وكانَ وكان في سالفِ الزمان

رَجُلًا يُدعَى سعفان

يحملُ قلب إنسان

يُشاركُ بطولة الشُجعان

ليس فارسًا من الفُرسان

ولكنَّهُ كريمٌ خَلوقٌ وحمدان

يُساعدُ بني الإنسان

ورفيقٌ بالحيوان

ليتَ شبابنا مثل سعفان.

أنَهَى الحكاواتي حكايتهُ ثُمَّ ذَهَبَ كُلٌّ إلى داره.

أُعجِبَ مسروق بما سَمِعَ، ونَامَ قرير العين رُغم عدم وجودهِ بينَ مَن يعرفهم ويعرفونه.

وفي الصباحِ الباكر.. دلفَ غُرفتهُ المبنية من اللَبِن واقتربَ منهُ هامسًا: مسروق.. مسروق.

نَهَضَ وأخذ يَفرك جَفنيهِ وأضاف: صباحُ الخير عَمّي جعفر.

جعفر وقد ضرب كفًّا بكفّ: هيّا بنا.

تساءل مسروق في دهشة: إلى أين؟

أجاب جعفر بصوتٍ عجول: إلى المركز فقد قامت الثورة.

أومأ رأسه مستفسرًا: ثورة ماذا؟

حملقَ بهِ جعفر وأردف: ثورتنا لإعادة زعيمنا من منفاه.

مسروق: مَن أنتم؟، ومَن زعيمكم؟

جعفر: نحنُ المصريون وزعيمنا سعد باشا زغلول.

تساءلَ مسروق في دهشةٍ: ماذا !!!؟

أنحنُ في العامِ ألف وتسعمائة وتسعة عشر؟

جعفر: أجل، هيّا نُلّبي النداء فقد خرجت القرية عن بَكرة أبيها.

ذَهَبَ مسروق دونَ استيعابٍ مع جعفر وأهل القرية إلى المركز؛ لدعم الثورة المصرية.

ليتَني لم أشرب ذاكَ الشراب الأزرق المسحور.

ليتَني لم أستعرض رجولتي أمام رِفاقي.

ليتَني.. ثُمَّ ليتَني.. ثُمَّ ليتَني.

أَخَذَ مسروق يُردد هتافات الثورة، وكأنَّهُ رَضيَ بالواقع الذي اختارهُ بالمشروبِ الأزرق.

أثناء المُناوشات أُصيبَ جعفر بطلقٍ ناري في قلبهِ أودى بحياته.

تضجَرَ مسروق وتَقَدَّمَ الصفوف كاشفًا عن صدرهِ أمام بنادق الإحتلال.

وقبل أن يُطلَق عليه سَمِعَ أحدهم يُناديهِ خُذ هذا الشراب، استدارَ فإذ بالشرابِ الأزرق؛ أخذهُ وتناولهُ مُسبلًا جَفنيه.

بعد لحظاتٍ اختفى صوت الهتافات، فَتَحَ عينيهِ ليَرى نفسهُ وسط رِفاقه؛ أخذتهُ الدهشة فقام ليُقبّلهم دونَ وعيهِ بسرابٍ يفصل بينهُ وبينهم فسقط فيه.

يحيى.. يحيى لتستيقظ ولدي.

أُمّي أينَ أنا؟

تحت السرير ولدي.

ماذا؟

كما تَرى.. قد هبطتَ من حِلمكَ لتحت السرير آخذًا معكَ الكتاب الذي كنتَ تقرأ.

الكتاب أينَ هو؟

ها هو ولدي مسروق.

مسروق أأنا مسروق أُمّي؟

بل الكتاب ولدي اسمه مسروق.

أمسَكَ الكتاب وقَبّلهُ ثُمَّ قَبّلَ رأس أُمّهُ وأَمِنَ بحُضنها.

ملح رشيد

رشيد لتحمِل عنّي هذا الجوال بُنيّ.

اِقتربَ منهُ رشيد وحملَ عنهُ الجوال، وقبلَ أنْ يضعهُ أرضًا صرخَ رفيق وحَذَّرهُ ألَّا يفعل.

سألهُ رشيد وكادتْ رقبتهُ أنْ تنكسر من ثِقَلِ ما يحملهُ على عاتقه، كانتْ اِجابة الأبّ غريبة بالنسبةِ لفتًى لم يتجاوز الخامسةَ عشر؛ إذ أخبرهُ أنَّ هذا الجوال يَحمِلُ عِلاجًا لا مَثيلَ له، دواءٌ لكُلِّ داء، الجُرعة الواحدة منهُ تقضي على مجموعةٍ من الأمراض، كما تشفي النفسية من أمراضها.

تعجبَ رشيد الطالب بالصفّ الثالث الإعدادي من حديثِ أبيه، الذي يحملُ بينَ طيّاتهِ كمًّا ماهولًا من الجهل، ثُمَّ أخذَ يوضّح لهُ الصواب لكنَّهُ ما صبرَ عليه، فنهرهُ وطردهُ من البقالة شرّ طردة.

عادَ إلى البيتِ حزينًا مكسور الخاطر، رأتهُ أُمّهُ هكذا فضمّتهُ لصدرها، ثُمَّ سألتهُ السبب، أخبرها بما حَدَثَ فغضبت منهُ وأكدتْ أنَّ الحقَّ مع أبيه، وحذّرتهُ من أنْ يُسمِعَ أحدًا برأيه.

جاءتْ نعسة كما أمرها مبهور بكوخٍ في مكانٍ مهجورٍ من القرية، أعطتهُ ما تحصّلتْ عليهِ من مالٍ وطعامٍ نظير قراءتها البخت والفنجان، ثُمَّ أخبرتهُ بأسماءِ وأحوالِ مَن باعتْ لهم الوهم.

فَرِحَ بها مبهور وفَعَلَ معها ما يَفعلهُ شَّيطانٌ بشَّيطانةٍ إذا هو لقيها في الطريق.

باعَ رفيق جوال البَركة _كما يزعم_ والغريب في الأمرِ أنَّ أهل القرية يُقبلونَ عليهِ كُلّما توّفرَ لديه.

اِمتلأتْ خِزانتهِ السرّية بالنقود، تهللتْ أساريرهُ وعادَ إلى عُلوية يزفّ لها البِشارة؛ حيثُ قَرّرَ أنْ

يأتيها بخادمة كي تُعينها على أعباء البيت، سُرَّتْ عُلوية بما سَمِعتْ وراحتْ لتُعِدَّ لهُ الغداء.

دلفَ غُرفة رشيد بعدما طرقَ الباب، جلسَ بجوارهِ على الأريكة، ثُمَّ رَبتَ على كَتفِهِ بحنانٍ قبلَ أنْ يسألهُ عن سببِ شَكّهِ في مبهور المُبارك، وعلاج البَركة الذي يُرسل رفيق لشرائهِ يوميًا من تاجرٍ بعَينه!

لم يستطع رفيق الجواب، لعدم توافر إجابة لديه، سألهُ عن أصلِ مبهور، فأخبرهُ أباهُ أنَّهُ ليسَ من القرية، بل جاءها مُقيمًا قبلَ سبعةَ عشرَ عامًا، ومعهُ بعض الأعشاب والبَخور، إذ كانَ قد اِمتهنَ العِطارة مهنة أبيهِ وأجداده.

تفقدَ مبهور القرية بعدما أَذِنَ لهُ شيخها أبي العزم بالإقامة، فلاحظَ تمسُّكِ أهلها بالوصفاتِ لمُداوةِ

الأمراض، وإرتداءِ الأحجبة والتمائم لتسكينِ الأوجاع، المُدهش في الأمرِ أنَّها تسكُن بالفِعل.

ظَلَّ مبهور يُجري بحثًا عن عادات وتقاليد أهل القرية، وعن مدى اِحترامهم للعقل، وتقديرهم للعِلم واِجلالهم للعُلماء، فرأهم لا يُقدّرونَ سوى الخُرافات، ولا يُجلّونَ إلَّا الخُزعبلات، فابتاعَ قطعة أرضٍ وبناها لتكونَ دار المُبارك مبهور فيما بعد، ليستخدمها في علاجِ كافةِ الأسقامِ والأوجاع.

ذُهِلَ رشيد ممّا سَمِعَ وطلبَ من أبيهِ أنْ يذهبَ بهِ إلى بيتِ شيخ القرية، أخذهُ رفيق وذهبَ بعدما أخبرَ عُلوية.

سَعِدَ شيخ القرية بزيارتهما ورَحَّبَ بهما، أخبرهُ رفيق بسببِ الزيارة، ثُمَّ أخذَ رشيد يستفسر منهُ عن مبهور وكذا نعسة الغجرية، وافاهُ أبي العزم الإجابة عن كُلِّ ما استفسرَ عنه.

أقسمَ رشيد لهما أنَّ مبهور ما هو إلَّا دّجّالٌ من الدجاجلة، ونعسة هي خادمتهُ المُطيعة.

ثُمَّ عاهدهُما أنْ يُثبِتَ لهما، ولكنْ لا بُدَّ من مُساعدتهما، سألاهُ عن نوعِ المُساعدة فأجابهما؛ أنَّ شيخ القرية سيُراقب مبهور ونعسة، وأنَّ رفيق سيترك أمر شراء جوال البَركة هذهِ المرّةَ لرشيد، وافقا شريطةَ أنْ يكونَ الجوال الذي سيأتي بهِ آمنًا على الصّحةِ العامّة.

مَضى أسبوعٌ على هذهِ الزيارة، وقد تبيّنَ من مُراقبةِ مبهور ونعسة أنَّهما يتقاسمانِ النصب على أهل القرية، ويعيشانِ في الحرامِ تحتَ سقفِ كوخٍ مهجور بعيدًا عن أعيُنِ الأهالي، بينما تاجر علاج البَركة الذي يبتاع منهُ رفيق ما هو إلَّا سكّيرٌ لا يدري عن البَركةِ شيء!

لكنَّ مبهور بحُكمِ خِبرتهِ في مجالِ العِطارة، كانَ قد اِتفقَ معهُ على خلطةٍ بِعَينها، تتكون من بعضِ الأعشاب المُهدئة والمُفيدة للجهاز الهضمي، كما كانَ يضع لهم نسبةً من النباتات المُخدِّرة؛ لتسكينِ أوجاع مرضى السرطان منهم.

ابتاعَ رشيد جوالًا من الملح، ثُمَّ وضعهُ ببقالةِ أبيهِ على أنَّهُ علاج البَركة ولكنْ في ثوبهِ الجديد، أقبلَ عليهِ الأهالي كعادتهم، أعطاهم جُرعاتهم وطلبَ منهم أنْ يضعونها على الطعامِ بدلًا من الملح؛ فإذا ما ضُبِطَ الطعم حلَّ الشفاء.

فعلَ الأهالي المُغيّبونَ ما طُلِبَ منهم، وراحوا يتغنوا بالعلاجِ الجديد الذي يحلّ محلّ الملح في ضبطِ الطعام.

عَلِمَ مبهور بالخبر فنفى وجود تجديدٍ لعلاجِ البَركة، وأمرهم بأنْ يأتوهُ بجُرعةٍ من العلاجِ

الجديد، فعلوا فأخذَ يتذوّق بعض الجُرعاتِ فلم يطقها، لفظها وصاحَ فيهم: إنَّهُ ملحٌ أيُّها الجهلة، ولكنْ مَن الذي تجرأ على مبهور المُبارك؟

رشيد، قالها شيخ القرية أبي العزم وهو يتوكأ على عصاه، ويُجاورهُ رفيق، ويتقدّمهما رشيد.

وقفوا أمامَ مبهور ليُحاسبوهُ على ما فعلهُ بِهم طِيلة سبعةَ عشرَ عامًا مضتْ، دبَّ الخوف في نفسِ مبهور حتّى أنَّهُ لم يستطع أنْ يَنبسَ ببنتِ شفة.

حاولَ الهرب بعدما عرضَ رشيد خُداعهُ أمامَ الأهالي، كما أكدَّ لهم أنَّ ما أخذوهُ مؤخرًا من جُرعاتٍ هو ملح.. مُجرد ملح، لكنَّهُ فعلَ ذلكَ ليُثبِتَ لهم أنَّ مبهور كانوا يُداويهم بالوهم، وما ساعدهُ هو إيمانهم بهذا الوهم، والدليل أنَّهم شعروا

بالراحة والسعادة بعد تناولهم جُرعاتِ الملح عن طريقِ وضعها في الطعامِ على أنَّها علاجُ البَركة!!

تَمَّ طرد نعسة من القرية شرّ طردة بعدَ التشهيرِ بها في سائرِ القُرى المُجاورة، بينما حبسوا مبهور بدارهِ التي يُقيمُ بِها، لحين نفاد جوال علاج البَركة الذي أبدلهُ رشيد بجوالِ ملح، ومن ثَمَّ يُقدّمونهُ للعدالة لينالَ جزاءه.

عاهدَ رشيد نفسهُ أنْ يجتهدَ في طلبِ العِلم قدرَ طاقتهِ لينفضَ عن الأهالي غُبار الجهل، ويجلو الظلام بنورِ العِلم.

مُذكّرات

لملمتْ أوراقها المُبعثرة في كُلّ مكانٍ بغُرفتها الصغيرة كرّوحها البرئية، ثُمَّ وضعتها بصندوقها الأسود وأغلقتهُ بإحكامٍ شديد قبل أن ترتدي زّيها المدرسي وتذهبَ في الحال.

نور فتاةٌ في الثامنة عشر من عُمرها، وُلِدَتْ لأُسرةٍ فقيرة، أبّ مُتواكل، أُمٌّ عاملة ومُكافحة، بالإضافة لأربعةٍ من الإخوة.

مُنذُ تعلمتْ القراءة والكتابة وهي تكتُبُ ما يُؤرق ليلها على هيئةِ مُذكّرات، لذا فصندوقها الأسود مليءٌ بالعديد من الرسائل السّرية، ولكن لماذا خبأتها بعيدًا عن أيدي أفراد الأسرة؟

بل لماذا تضعها في صندوقٍ أسود؟

أنهتْ يومها الدراسي وهَمّت عائدة إلى البيتِ لولا مَنَعها مانع قهري؛ فلديها رغبة مُلّحة في دخول

دورة المياه، حاولتْ أنْ تتحمّل حتّى أحسّت ألمًا بكليتها اليُمنى، لم تتمالك نفسها فأسرعتْ إلى دورةِ المياه الخاصّة بالمدرسة، بينما تنتظرها إحدى صديقاتها.

قضتْ حاجتها وعادت ليسَ كما ذهبت!!

بعدَ أنْ خرجت من دورةِ المياه سَمِعت صوت طفلٍ قادمٍ من غُرفةِ المُدير، تساءلتْ كيف لطفلٍ أنْ يكونَ هُنا بل وبغُرفةِ المُدير؟

سارتْ خُطاها على أطرافِ قدميها كي لا يُشعَر بوجودها.

اِقتربتْ من الغُرفة وأنصتت لتسمع ما أخافها..

سَمِعت المُدير يقول لمُحدّثهِ عبرَ الهاتف أنَّهُ قد أتى لهُ بما طَلب، فَهِمَت مَقصِده، إنَّهُ يعي الطفل لا غيره، ولكن ما الذي سيفعلهُ بهِ؟

بل ما الذي سيجنيهِ من وراءِ فِعلته الشنعاء؟

أخذها التفكير حتّى تنبهت لصوتِ عواد (خفير المدرسة) قادم من أسفل، نزلت من السُلَّم الخلفي دونَ أن يراها أحد.

تظاهرت بالتمالُك أمامَ صديقتها ثُمَّ خرجتا من المدرسة.

عادت صديقتها لبيتها بينما هي لم يهنأ لها بال، فعقلها يكاد يفقد عمله من فرط تفكيرها، لم تظلّ هكذا طويلًا فذهبت إلى المدرسة مرّةً أُخرى لترى ما الذي يحدث؟

وصلت قبلَ أنْ يخرج المُدير حاملًا الطفل على يديهِ وكأنَّهُ غائبٌ عن الوعي، اختبأت وأخذت ترقُبهُ حتّى ذهبَ بسيارته، أسرعت في السيرِ خلفه بعدَ أنْ ذهبَ عواد لبيتهِ ولكنَّها لم تلحقهُ؛ للسُرعة الهائلة التي يقود بها.

أصابها الغضب ولكنَّها لم تيأس فأخذتْ تجري وتجري وتجري حتّى رأت سيارة يقودها عجوز، أَذِنَ لها بالركوب وأسرع خلفَ سيارة المُدير كما طلبت منهُ، ثُمَّ سألها عن سببِ ما يدفعها لمُلاحقةِ تلك السيارة.. أجابتهُ بأنَّهُ من ذوي قُربتها نَسيَ بعض أغراضهِ الهامّة أثناء زيارتهِ لهم، قَبِلَ العجوز أُكذوبتها وزادَ في سُرعته.

وصلَ المُدير لمُبتغاهُ، فيلا مهجورة كما يبدو، نزلت هي بعيدًا عن الفيلا كي لا يراها المُدير ومَن هُناك، وَدّعها العجوز وغادر.

أخذت ترقُب المكان هُنا وهُناكَ حتّى غابَ الجميع في الداخل، اِقتربتْ من السور الحجري المُحيط بالفيلا، ثُمَّ اختبأت خلفهُ لتراهم دونَ أن يرونها.

رأت المُدير وقد أخذ ظرفًا ضخمًا بعض الشيء، ثُمَّ حيّاهم ببسمةٍ ساخرة وغادر، في حين أنَّ الطفل لا زالَ موجودًا بالداخل لا تعلم ما الذي سيحدُثُ له؟

لحظات وأُغلِقَت جميع نوافذ الفيلا فلم تَعُد ترى شيئًا.

أدارت ظهرها لتُغادر فإذ بالعجوزِ ينتظرها!

أخذها وأسرعَ بقيادة السيارة، سألتهُ عن سبب إيهامها بالمُغادرة؟

تبسمَ لها وأضاف: ما كُنتُ لأتركَ فتاة مثلكِ في مكانٍ مهجورٍ كهذا، ثُمَّ سألها عن سبب ما فعلت؟

قَصّت عليهِ ما رأت.. غابَ الحديث لحظات ليسود الصمت، الصمت لا غيره، حتّى سألها إن كانتْ تُريدُهُ بجوارها أم لا؟

رَحَّبت بهِ وفرحت بمقالته.

وعدها بأنَّهُ سيظل معها حتّى يهتديانِ إلى الحقيقة.

أوصلها بيتها في أحد أحياء الجيزة ثُمَّ غادر.

دلفت غُرفتها دونَ إلقاءِ السلام، خلعت حجابها ووضعتهُ جانبًا ثُمَّ جلستْ على سريرها لتُبحِرَ بعقلها في أمرِ الطفل.

دلفتْ أُمّها لترى ما بها؟

لم تنبس ببنت شفة حتّى ألّحتْ عليها فأسرّت لها بما يُشغل تفكيرها، شَهَقت الأُمّ من الفزع وأمرتها بترك ما يدور بعقلها، والتركيز على دراستها وحسب.

تظاهرتْ بالإمتثالِ لأمرِ أُمّها وتأكيدًا على ذلك أمسكتْ بأحد الكُتب وأخذتْ تُذاكر.

وفي اليومِ التالي لم تذهب إلى المدرسة بل ذهبتْ برِفقةِ العجوز إلى حيثُ الفيلا بعد أن أكّدتْ عليهِ

البارحة، وصلا وأخذا يرقُبانِ المكان ثُمَّ تسللتْ هي لخِفةِ وزنها من أحدِ الأسوار الخلفية ونجحتْ في الوصولِ إلى المستودع السرّي.

أخرجتْ هاتفها الذكي وأخذتْ تُصور ما يقومونَ بهِ من قتلٍ للأطفالِ ثُمَّ وضعهم على المِقصلة ليتمَّ أخذ أعضائهم بمُعاونةِ طبيبٍ مُختص!

راعها المشهد فتحاملتْ على نفسها وكتمتْ رغبتها في التقيؤ، لحظاتٍ وخرجَ أحدهم ليُغلِقَ النافذة كما أمرهُ الطبيب؛ إذ أشّعة الشَّمس تُسبب لهُ الإزعاج.

أسرعتْ هي للخروجِ ومن ثَمَّ العودة إلى البيت، دلفتْ غُرفتها وأغلقتْ على نفسها الباب، ثُمَّ أخذتْ تُدوّن ما رأتهُ بمُذكّراتها ووضعتهُ بالصندوقِ الأسود، وتوسّدتْ بعد أن كادَ البُكاء يُنضج كبدها.

مَرَّ يومانِ وهي مُتغيبة عن المدرسة لا تستطيع أن ترى وجه ذاك المُدير النذل، كما لم تستسلم لمُحاولاتِ أُمّها في إقناعها بالعودة إلى دراستها والكفّ عن الدلال الزائد.

فكّرتْ ماذا تفعل؟

فكّرتْ وفكّرتْ وفكّرتْ حتّى هداها تفكيرها لأنْ تُخبِرَ العجوز بأمرِ الصور التي بحوزةِ هاتفها، ذهبتْ إليهِ في الموعدِ المُحَدَد مُسبقًا ومعها الهاتف المحمول، أخذتْ تَقُصّ عليه ما رأتْ ثُمَّ أخبرتهُ بأنَّها ستُخبر قوات الأمن لعملِ اللازم وإنقاذ مَن يُمكن إنقاذهم من الأطفال.

شرد ذهنهِ للحظاتٍ قبلَ أن يقترحَ عليها الذهاب إلى الفيلا لتصويرِ بعض الصور الأُخرى كي تُساعد قوات الأمن في القبضِ على أولئك المُجرمين.

ذهبتُ معهُ حيثُ أرادَ وهُناكَ كانت المُفاجأة!

حينَ دلفتْ الفيلا كالمرّة السابقة وجدتْ بعض حُرّاسها قد أمسكوا بها وقيّدوها ثُمَّ وضعوها بإحدى الغُرف، وبعد دقائق جاء رئيسهم ذاك العجوز الذي أوهمها بأنَّهُ سائق ويسعى معها في طريقِ الكشفِ عن الحقيقة!

أُصيبَتْ بالذهولِ حينَ رأتهُ وأخذتْ تبكي حتّى فقدتْ وعيها.

أخذَ هاتفها ووضعهُ بالمِحرقة حتّى ذابَ واختفى أثره.

كادَ اليومُ أنْ يمضي ونور لم ترجع بيتها بعد، جلستْ أُمّها تُبكيها وإخوتها يبحثونَ عنها هُنا وهُناكَ لكن دونَ جدوى.

مَرّت ثلاثة أيَّام وهي لم تحضر بعد، أبلغتْ الأُمّ قوات الأمن فأخذوا في البحثِ عنها لكنَّهم لم يجدوا

إلى معرفةِ مكانها سبيلًا، سأل أحد الضُباط الأُمّ عن صاحبتها المُقرّبة وعناوين دروسها وتحرّوا عن ذلك ولم يوفقوا أيضًا.

تذكّرتْ الأُمّ حديث ابنتها عن المُديرِ والطفلِ والفيلا وأسرعتْ بإخبارِ قوات الأمن.

أخذ الضابط يُحلّل كلامها ثُمَّ استأذنها في الذهابِ إلى بيتها للبحثِ عن دليل، أَذِنَتْ لهم فأسرعوا إلى البيت.

دلفَ الضابط غُرفتها وأخذ يبحث حتّى عثر على صندوقها الأسود المُخبأ بخِزانةِ ملابسها، أخذهُ ووضعهُ على السريرِ وحاولَ فتحهُ لكن دونَ جدوى؛ إذ يحتاج فتحهِ إلى مِفتاحٍ خاصّ، حاولَ وحاولَ وحاول فلم يستطع فتحهُ سوى بكسرِ قِفله، وهُنا كانتْ الصدمة!

فتحَ الصندوق فوجدَ كلماتٍ حُفِرَتْ على غطائهِ من الداخل، وجَّه نحوها إضاءة هاتفهِ المحمول وأخذ يقرأها: مُذكّرات نور الظلام، أخرجها ووجدها مُرّقمة، بدأ قراءتها من الواحدة ظُهرًا وحتّى الثالثة عصرًا، ثُمَّ أسرعَ بجمعِ قواتهِ والإستعانة بقواتِ الدعم من مُديرية الأمن العام، ومنها ذهبَ إلى العنوانِ المسطور بمُذكّراتِ نور بعدما تأكد لديهِ أنَّهُ سيأتي بها لأُمّها ولكن جُثّة هامدة!

حملها على عاتقهِ ثُمَّ وضعها على المِقصلة إستعدادًا لقتلها ومن ثَمَّ أخذ أعضائها كما يفعلونَ بالأطفال.

أخذتْ تصرخ ولكن لا صوتَ لها؛ إذ لم يُطعموها سوى مرّتينِ مُنذُ قدومها وإلى الآن، أثناء ذلك وصلَتْ قوات الأمن فداهمتْ المكان، وألقتْ القبضِ على مَن فيهِ بينما أسرعَ الضابط لفكِ قيود نور.

مَرّت الأيَّام وأضحت تلك الواقعة الأليمة ذِكرى مسطورة بمُذكّراتي وهانذا أذكُرها بعدما حالتْ الأحوال وبلغتُ من العِمرِ ما جعلني هَرِمَة، كافحتْ لأجلِ أحفادها _من ولدها يوسف_ بعد موتِ أبويهم ونجحتْ في جعلهم مؤثرين في المُجتمع؛ فهُدى طبيبة نساء وتوليد ماهرة، وعربي مُهندس معماري متفوق في عمله، وسلمى خبيرة تغذية علاجية، وعادل عالِم كيمياء حيوية شهير، بالإضافة لآخر العنقود حمزة ضابط شرطة.

وسأُضيفُ الجديد من الذكرياتِ إلى صندوقي الأسود.. أتدرونَ لماذا خصصتُهُ باللون الأسودِ تحديدًا؟

لأنَّ السواد ثُقبٌ هائل يبتلع ما يقترب منهُ وهكذا ذكرياتي لا أُحِبُّ أن يراها سواي، وقد أسميتها نور الظلام لغموضي وتفضيلي عدم الوضوح إلى الحد

الذي يجعلني كتابًا مفتوحًا يسهل قراءته، كما أنَّها تحوي أشخاص غيري لذا من الواجبِ عليَّ إحترامهم وعدم الخوض في سيرتهم، وما ذكرتهم إلَّا لتأثيرهم بيَّ أو عليَّ.

أبي زيد

أعدّتْ لابنها ما يُحِبُّ لهذا الغداء، فكانَ الأرز بالشعيرية المطهو بالسمن البلدي، والملوخية الجافّة المطهوة على مَرقِ البط بإضافةِ القليل من السمن البلدي، كما طهتْ لهُ طاجن البامية الذي يُفضّل، وصنعتْ طبقًا غنيًّا بالمعادن والفيتامينات فكانتْ السلطة الخضراء، بالإضافة إلى طبقِ الزيتون الأسود المُخلَل، ولم تَنسَ أنْ تصنع عصير الأناناس؛ لرفعِ كفاءةِ الجهاز المناعي وللمُساعدة على الهضم.

زَيّنتْ المائدة بما أعدّتْ ثُمَّ نادتْ ابنها ليُشاركها تناول الغداء.

حُسام هيّا لنتناول الغداء.

حُسام: حسنًا أُمّي.

الأُمّ: قد أعددتُ لكَ ما تُحبُّ من الطعام.

حُسام بعدما قَبّلَ يُمناها: سَلِمَتْ يداكِ أُمّي.

الأُمّ: سَلَّمَكَ اللَّهُ بُني، ماذا فعلت بقصتُك؟

أأنهيتَ كتابتُها؟

حُسام: ليسَ بعدُ أُمّي.

الأُمّ: ومَتى آخر موعد للمسابقة؟

حُسام: بعد يومينِ أُمّي.

الأُمّ: أوبإستطاعتُكَ المُشاركة؟

حُسام: أجل أُمّي.. فبفضل اللَّهِ قد أنهيتُ كتابة مُعظم القصّة وبَقيَ القليل.

الأُمّ: ضع في الحُسبانِ بأنّي سأكونُ أوّل القُرّاء لها.

حُسام مُبتسمًا: بالطبعِ أُمّي.

الأمّ: وفقكَ اللَّهُ بُني.

أنهى طعامهُ ثُمَّ دلفَ دورة المياه، غسل يداهُ وخرجَ ليستأذنها في الذهابِ لغُرفتهِ؛ لإكمالِ القصة.. أَذِنَتْ لهُ فذهب.

أمسكَ دفترهُ بعدما جلسَ على مِقعدهِ الجلدي، وأردف: بِسْمِ اللَّه، لأُراجعَ ما كتبتُ ثُمَّ أُكمِلُ القصة.....

جلتْ الأواني ثُمَّ دلفتْ غُرفتها لتَقِيلَ بعض الوقت، أمسكتْ صورة زوجها وأخذت تُحدّثها:

رَحِمَكَ اللَّهُ زيدًا؛ فقد سترتنا أمَامَ النَّاسِ بما تركتهُ لنا من سيرة عَطِرة يَشهدُ لها القاصي والداني، كما أغنيتنا عن سؤالِ النَّاس؛ فرُغم مرور عشر سنوات على وفاتك إلَّا أنَّ مالنا لم ينقُص مِنهُ إلَّا القليل.. آهٍ على فِراقك حبيبي، قد علّمتنا أنَّ الصدقةَ تزيدُ المال ولا تنقُصه، ثُمَّ بَكتْ وتوسّدتْ.

صندوقٌ جميلٌ يحوي بداخلهِ مشاعرٌ نبيلة على شكلِ ملابسٍ تُناسب طفلًا في الثالثةِ عشر، وزجاجة مسك بالإضافة لمَكتوبٍ أنيق.

هيثم.. هيثم.

نعم أُمّي.

خُذ هذا الصندوق.. هو لكَ ولدي.

هيثم فَرِحًا بعدما حملهُ عنها: أحقًّا نادرة أُمّ هيثم؟

نادرة وقد ربتت على كتفهِ: حقًّا بُنيّ.

هيثم وقد سقطتْ عَبراته على الصندوق: الحمدُ لكَ رَبّي.

نادرة: الحمدُ لِلَّهِ دائمًا وأبدًا.

هيثم: ولكن من أينَ لي بهذا الصندوق أُمّي؟

نادرة: قد أرسلتهُ أُمّ حُسام.

هيثم مُبتسمًا: إذًا قد ابتاعَ حُسام ملابس الشتاء.

نادرة: وكيف عرفت؟

هيثم: قد دعاني للذهابِ معهُ فأخبرتهُ بأنَّ لدي مُذاكرة.

نادرة مُبتسمة: هو ذاك هيثم.

فتَحَ هيثم الصندوق فوجد بهِ كُسوة الشتاء بالألوان التي يُحبُّها، وبجانبها زجاجة مسك من النوعِ الذي يُفضلُه، بالإضافة لمَكتوبٍ أنيقٍ ككاتبهِ حُسام.. أخذ يقرأؤهُ على أُمّه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

إلى أخي الذي لم تُنجبهُ أُمّي.

إلى صاحبي وحبيبي هيثم.. وبعد.

قد مَنَّ اللَّهُ علينا بكُسوةِ الشتاء فأردتُ أن تُشاركني شراءها ولكنَّ المُذاكرة أشغلتكَ فقمتُ بالشراءِ نيابةً عنكَ ولعلَّ ذوقي يُعجبُك.

سنظلّ إخوة إلى الأبد.

أخيكَ حُسام.

طوى المكتوب بعدما قَبّلهُ ودلفَ غُرفته.

أُمّي.. أُمّي قد أنهيتُ القصّة.

حسنًا فعلتَ ولدي هيّا اقرأها عليّ.

جَلَسَ حُسام على الأريكة بجانبِ أُمّهِ، وأخذ يسرد لها قصّتهُ القصيرة بطريقتهِ الجميلة، وما أنْ أنهاها حتّى انهمرَ الدمعُ من عينيها.. كفكفتْ دمعها وأضافتْ: حُسام قد أحسنتَ الكتابة ولدي، فليوفقكَ اللّه.

سألها بلهفة: أأعجبتكِ أُمّي؟

رَدّت مُبتسمة: بالطبعِ أجل.

قَبّلَ يُمناها وأضاف: إذًا عَلَامَ البُكاء؟

أجابتهُ بصوتٍ مُختنق: شَعرتُ بأبيكَ فيها!

حُسام: صدقتِ أُمّي.. فقد كتبتها من بابِ شُكر أبي.

سألتهُ: وبِمَ عَنونتَها بُنيّ؟

أجابها مُبتسمًا: عَنونتها بأبي زيد.

صندوق الهدايا

قد عادت هند من المدرسة والحُزن يملأ عيناها، ثُمَّ أخبرتني أنَّ زميلاتها يسخرنَّ منها؛ للحرق الذي أصابَ نصفَ وجهها، ضممتها لصدري لكنَّها تركتني وأسرعت لغُرفتها، وهذا ما أبكاني سعيد.

ربت على يديها وأضاف: لا تحزني سُمية فمَن سيُقوّيها إن أنتِ ضَعُفتِ؟

سُمية بعدما كفكفت دمعها: حسنًا سعيد.. فليُدمكَ اللَّهُ لنا حبيبي ثُمَّ قَبّلَت جبينهُ.

ابتاعَ سعيد صندوقًا مُخصصًا لحمل الهدايا مُزيّنٌ بالألوان وذَهَبَ لغُرفة ابنته.

مَن الطارق؟

أبا حبيبته.

تَفضلَ أبي.

دلفَ ثُمَّ جَلَسَ بجوارها على الأريكة المُقابلة للنافذة، واضعًا صندوق الهدايا بجانبها.

رأى دمعها المُخبأُ بعينها؛ فاحتضنها وقَبّلَ رأسها ثُمَّ حَدّثها: أي بُنيّة.. ما حَدَثَ قد حَدَث، فلا تُهدري وقتكِ بالحسرةِ عليه؛ فأنتِ الخاسرة في ذلك.

نَظرت إليه بعينٍ مُدمعة، ثُمَّ وضعت يداها على وجهها: ولكنَّ وجهي قد تَشوه أبي.

مَن قال ذلك بُنيّتي؟

رَدّت بصوتٍ مُختنق: زميلاتي بالمدرسة أصبحنَّ يسخرنّ مني ويصفنّني بالمُخيفة.

مَسَحَ الأبُّ دمعها وأضاف: إنظري في عيني.. لا تعبأي بسُخريتهنَّ فأنتِ مُميّزة.

تساءلتْ بغرابة: مُميّزة؟

أجابها مُبتسماً: أجل.. فلو أنَّكِ مثلهنَّ ما سَخِرنَّ منكِ.

رَدّت: أنا.

تبسم لها وأضاف: نعم أنتِ، لتتذكري حينَ كنتِ مثلهنَّ قبل أن يُميَّز وجهكِ، أكُنَّ منكِ ساخراتٍ؟

حَرّكت بصرها يمينًا ويسارًا ثُمَّ أجابت: لا لم يكُنَّ كذلك.

إذًا لماذا يسخرنَّ منكِ الآن؟

فَكَّرت بُرهة ثُمَّ رَدّت مُبتسمة: لأنَّني مُميّزة.

احتضنها ثُمَّ قَرّبَ منها صندوق الهدايا.

نَظَرت إليهِ بضحكٍ.. أبي صندوقٌ جميل.

تَبَسَمَ الأبّ ثُمَّ قال: أخطأتِ بُنيّتي فقد خَدَعكِ ظاهرُ الأمر.

كيف أبي؟

فَتحَ الأبّ الصندوق فرأتَ المُفاجأة.. قد وَضَعَ الأبّ بعض القمامة داخل الصندوق؛ ليوصل لابنته مفهومًا آخر للجمال.

هند: أهذهِ قُمامة أبي؟!

سعيد: نعم هند.

هند: ولكن كيف وظاهرُ الصندوق جميل؟!

سعيد: أحسنتِ بِنيّتي، فظاهر الشيء لا يَدل على ما يحتويهِ دائمًا.. ما أوَدُّ قوله أنَّ الجمال ليس بالضرورة أن يكونَ ظاهريًا؛ فهُناكَ جمال لا يُرى ولكنَّهُ يُحَس.

رَدّت هند بسرعة: جمالُ الرَّوحِ أبي.

قَبّلها سعيد ثُمَّ ابتسمَ: أصبتِ هند.

هند: الآن فَهِمتُ مَقصدُكَ أبي.

سعيد: حسنًا.. لتأخذي هديتُكِ.

نظرتْ إليهِ وأضافت: إنَّهُ صندوقٌ عتيق لا مَنظرَ له، كيف تُهدينيهِ أبي؟!

رَدَّ مُبتسمًا: إفتحيهِ لنَرى.

فَتَحتْ هند الصندوق لتُفاجأ بالحَلوى التي تُفضلُّها.

تعالت ضحكاتها، قَبّلَت أباها، ثُمَّ قالت: أنا هند ذات الجمالَين؛ فإن غابَ جمال وجهي حَلَّ جمال رَّوحي.

هشام ورَدّ السّلام

دلفَ المُعلّم فصله بالمدرسة الإبتدائية وألقى التحيّة على تلامذتهِ ثُمَّ أخذ يكتب عنوان الدرس فكانَ رَد السلام.. نَظَرَ هيثم لصديقهِ هشام وهَمَسَ لهُ قائلاً:يبدو أنَّ رَد السلام ذو قِيمة عظيمة وفوائد عميمة وإلَّا ما جعلهُ المُعلّم عنواناً لحصة اليوم.

أومأ هشام مُبتسمًا.

أمسكَ المُعلّم بيدهِ بعض الحَلوى وقال: سأُلقي عليكم الآن تحيّة الإسلام، فمَن رَدَّها عليَّ سأُعطيهِ هَدية وأشارَ إلى الحَلوى، فالسلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

رَدَّ الجميع بصوتٍ واحد: وعليكم السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

تبسمَ المُعلّم وأضاف: قد تحفزتم للهدية رُغم تواضعها وفنائها، فما بالكم بهدية عظيمة باقية، ليس هذا فحسب بل ورافعة من شأن صاحبها؟

سألهُ هيثم في فضول: وكيفَ لنا بها حضرة مُعلّمي خالد؟

شَكَرَ المُعلّم تلميذه على سؤالهِ الجميل وأضاف: قد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتُبيّن أهمية السلام وجزاءه، ومن ذلك قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ألا أدُلكم على شيءٍ إذا فعلتموهُ تحاببتم؟.. أفشوا السلامَ بينكم" وقولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ جزاء إلقاء التحية (السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته) ثلاثينَ حسنة، وغير ذلك من الأحاديث، والعِبرة أبنائي أنَّ إلقاء السلام وردّهِ يُكسبكم حسنات باقية عند اللَّهِ ومحبة فيما بينكم.

شَرَدَ هشام بذهنهِ ليتذكّرَ كيف كانَ فِعلهِ من رَد السلام.

السلام عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

هشام لماذا لم تردَ السلام؟

لستُ راغبًا في ذلك أبي.

ولِمَ بُني؟

هكذا أبي يكفي أن ترد أُمّي.

أخذ الأبّ يوضح لهُ ولكن دونَ جدوى.

هشام لتردَ على الرجل السلام.

لن أفعل.. أتراني فارغًا؟

وما دخل هذا بذاك؟

أنا الآن ألعب وأمرح مع أصدقائي ولن أُضيعَ الوقت في ردِ السلام.

غَضِبَ عمرو من مقالتهِ فتركهُ وذهب.

أحسَّ هشام بالحُزن على ما فَرّطَ من حسناتٍ ثُمَّ تَنبهَ ليد المُعلّم وهو يُقدّم لهُ بعض الحَلوى قائلًا: هذهِ هديتُكَ المتواضعة لكن ما عند اللَّهِ خيرٌ وأبقى.

تبسم لهُ هشام وأخذها ثُمَّ شَكَرَهُ عليها.

انتهت الحصة وحانَ وقت الفُسحة، طَوَى التلاميذ كراساتهم ووضعوها في حقائبهم، ثُمَّ أخرجوا مصروفاتهم وهبطوا إلى فناء المدرسة، أخرجَ هشام الحَلوى التي أعطاهُ إيّاها المُعلّم وأخذ ينظر لها حتّى ترقرق الدمع بعينيهِ، دلف هيثم فوجدهُ هكذا، اقتربَ منهُ وربت على كتفهِ ثُمَّ أضاف: صديقي ما بك؟

نَظَرَ إليهِ هشام بعينٍ مُدمَعة ثُمَّ أضاف: لستُ أهلًا لهذهِ الحَلوى.

سألهُ هيثم: ولِمَ؟

أجابَ بصوتٍ حزين: فقد أهملتُ رَد السلام حتّى على أبي، فأنا لا خيرَ فيَّ ثُمَّ بَكى.

ربت هيثم على يديهِ وحدّثهُ قائلًا: بل الخير كُلّ الخير فيكَ هشام.

ابتسمَ لهُ قبل أن يسألهُ: كيف هيثم؟

أجابهُ بذاتِ البسمة: لأنَّكَ ندمت والندم بشارة خيرٍ هشام.

سألهُ هشام وقد اتسع فاه: أحقًّا هيثم؟

أجابهُ: بلى.. وستَرى بنفسك طالما صَدقت نِيَّتُك.

رَدَّ هشام بسرور: صدقت واللَّهُ يعلم ثُمَّ عَانَقَ هيثم وشَكَرَهُ على توضيحهِ وهبطوا إلى فناء المدرسة؛ حيثُ التلاميذ يلعبون ويمرحون.

تَعلّم هشام أنَّ رَدّ السلام لا يمنعهُ مانع، ففي أي وقتٍ يُلقى السلام يجب على مَن سَمِعهُ الردّ، ومن

هذا المنطلق أضحى هشام أكثر التلامذة إلقاءً للسلام ورَدًا لهُ.

فأتبعَ سببًا

صباحُ الخير أُمّي ثُمَّ قَبّلَ يُمناها.

صباحُ الخير بُنيّ ها قد أعددتُ لك الإفطار.

حسنًا أُمّي سأتناولُ بعضهُ وآخذ بعضهُ الآخر معي.

بل تناولهُ كاملًا هُنا فللعملِ طعامٌ آخر في هذهِ العُلبة كريم.

كريم مُقبّلًا رأسها: لا حرمني اللَّهُ إيَّاكِ أُمّ كريم.

أُمّ كريم: ولا حرمني اللَّهُ إيَّاك بِضعتي.

كريم: أُمّي سأُبدّل ملابسي فقد حان وقتُ الذهاب إلى البنك؛ فالمُحاسب الناجح مَن يضبط مواعيده ودَلَفَ غُرفته.

أُمّ كريم: كما تُريدُ بُنيّ ولكن لا تتأخر.

عربةٌ صغيرة تحمل قِدر الفول المدمس، وبعض الأطباق وزجاجات زيتٍ ما بينَ حارٍّ وغير حارّ،

بالإضافة للكثير من الخُبز الطازج، والبصل الأخضر والطماطم والطحينة والتوابل.

عم عبده هَلاَ أعطيتني الخُبز كي لا يتأخر الأبناءُ على مدارسهم وحتّى لا أتأخر أنا على عملي.

تبسم لهُ وأردف: تفضل أبا وليد ومَدَّ إليهِ يدهُ بالخُبز، أفضلُ خُبزٍ لأفضل بشمهندس بشوش في زبائني.

رَدَّ أبا وليد بذاتِ الإبتسامة: بارك اللَّهُ فيك عم عبده.

خرجتْ من المطبخِ مُمسكةً بالمِنشفة تُجفف بها يدها بعد إنهاء عملها وأضافت: أبي قد جليتُ الأواني وأعددتُ كل شيءٍ لغداء اليوم ونظّمتُ البيت فأصبح في خيرِ هيئةٍ كما ترى حضرتُكَ.

أومأ مُبتسمًا قبلَ أن يُضيف: سَلِمَت يداكِ فلذتي وعوضكِ اللَّهُ خيرًا عن حُسن صنيعُكِ بي، فمُذ

توفت أُمّكِ وإلى الآن قُرابة العشر سنوات لم تضجُري منّي، ولم تغضبي عليّ، رُغم ضعف حركتي وقِلة بَرَكَتي، فجزاكِ رَبّي بالجنّة نور بضعة قلبي.

نور بعدما قبَّلت رأسه: بل جزاك اللَّهُ عنّي خيرًا أبي؛ فقد أحسنتَ تربيتي وشجعتني على إكمالِ تعليمي، حينَ رفضتُ ذلك عند وفاة أُمّي، وها أنا ذا قد تعلّمتُ وعَمِلتُ بما تعلّمت وللحديثِ بقيّة فور عودتي من المدرسة فجدولي مليءٌ بأوائل الحصص اليوم.

أبا نور: أعانكِ اللَّهُ بُنيّتي.

انتصبتْ واقفة لتُحدّثهُ بصوتٍ مُتعَب: جاسر قد وضعتُ لك ما أردت في الحقيبة، أتُريدُ شيئًا آخر حبيبي؟

جاسر: أردتُ القميص الأبيض ذو الأزرّة السوداء ولكن لم أجدْهُ بخزينة الملابس فأين هو فاتن؟

فاتن: قد أعطيتهُ لفتحي (المكوجي)؛ كي يقوم بغسلهِ وكيّه، لعِلمي بموعد سفرك حضرة المحامي المحترم.

جاسر: بارك اللَّهُ لي فيكِ حضرة الطبيبة مالكةُ قلبي وأُمّ ولداي.

فاتن: بارك اللَّهُ لي فيك زوجي الحبيب، والآن لأذهب قبل أن أتأخر على المستشفى.

جاسر: والقميص؟

فاتن: سيأتي بهِ فتحي بعد دقائق لا تقلق.

غُرفةٌ صغيرة أسفل البناية تأويها وبنتها وولاداها بعد موت زوجها.

ماجدة إعتني بأخويكِ جيّدًا ريثما أعودُ من العمل.

ماجدة: حسنًا أُمّي ولكنَّكِ مُتعبة فلتأخذي اليوم إجازة؟

الأُمّ: وهل تأخذُ أبطنُنا إجازة من الطعام؟

أم هل تأخذ الدُّنيا إجازة من تعكيرِ صفونا؟

مَن يَمُت زوجها تاركًا لها ثلاثةُ أطفال بجانب ترمُلها.. تأخذ إجازة؟!

ماجدة: أُمّي سيرزُقنا اللَّهُ بعملٍ أفضل حينَ أكتفي من التعليم وأعمل.

الأُمّ: كيفَ تجرؤئينَ على قولٍ كهذا؟

ألهذا أتحملُ العناء؟

إذا فكّرتِ بهذه الطريقة فلماذا أعملُ أنا كجليسةٍ للأطفالِ مذ سبع سنوات؟

ماجدة: أُمّي....

الأُمّ مُقاطعةً: لا تقولي شيئًا قبل أن تُكملي تعليمكِ الجامعي، وتُصبحينَ مُمرضة تُداوي غيرها بالأملِ قبل الدواء.

ماجدة مُقبّلةً يُمناها: حسنًا أُمّي.

قد تجهزتُ أُمّي والآن سأذهب و....

كريم ما هذا الصوت بُنيّ فقد أفزعني؟

نَظَرَ من الشُرفة ليُخبرها بأنَّها أمطار تهطلُ بغزارة.

خَشيت عليهِ فحاولت منعهِ من الذهاب بقولها: لا تذهب اليوم بُنيّ فالوضعُ كما ترى؟

كريم وقد قَبّلَ يُمناها: بل سأذهبُ أُمّي فالعملُ لا يُؤَخر والحياةُ لا تتوقف.

ربتت على كتفهِ بعدما قَبّلَتهُ وأضافت: حفظك اللّهُ ولدي.

عزّت إلى أين تذهب في هذا الطقس البارد؟

إلى موقعِ عملي أُمّ وليد؟

أُمّ وليد: كيف والطقسُ كما ترى وموقعُكَ يبعُدنا بكثير؟

أبا وليد: لستُ وحدي فجميع المهندسين قد ذهبوا مُبّكرًا كما أنَّني سأُرافق كريم.

أُمّ وليد بعدما أودعت جبينه بقُبلةٍ حانية: ليحفظكَ الرحمٰن.

نور دعكِ من العمل اليوم بُنيّتي؟

نور: لا يصّحُ أبي فالأطفال في انتظاري

أبا نور: أمَا تَرينَ هطول الأمطار؟

نور: بلى أبي وهذا ما يُفرحُ الأطفال فيلعبون بماء المطر، ويركضون هُنا وهُناكَ حتّى تبدأُ الحصص.

أبا نور: كما تُريدينَ بُنيّتي.

نور: لا تقلق أبا نور فلستُ وحدي سأذهب برفقة أُمّ ماجدة.

فاتن إستريحي اليوم فالطقسُ غيرُ مُطمئنٍ بالخير.

فاتن: لا تقلق عليَّ جاسر، فهناك مَن ينتظرونَّني، فالمرض لا يتوقف بهطول الأمطار ولا بغيره.

جاسر: حفظكِ اللَّهُ حبيبتي.

فاتن: وأنت حبيبي إعتني بنفسك، ولا تذهب قبل أن تطمئنَّ على عاطفٍ وإسلام فآخر أيَّام إمتحاناتهما اليوم.

جاسر: حسنًا حبيبتي.

عماد لا تذهب حتى أعود.

إلى أين فتحي؟

فتحي: إلى الأستاذ جاسر فقد تأخرتُ عليه.

عماد: حسنًا.. إعتني بنفسك فالماء يملأُ الشارع.

عم عبده أما آن لك أن تذهب؟

عم عبده: لا، فقد غطّيتُ عربتي حتّى لا يُصيبُها ماء المطر.

نزلوا جميعًا ذاهبينَ إلى أعمالهم، سائرين في مياهِ الأمطار ساعينَ نحو أهدافهم، لا يخشونَ برودة الطقس قَدرَ ما يخشونَ التأخر؛ لذا فبعضهم ينظرُ إلى ساعةِ يدهِ ليُجيب بعضهم الآخر السائل عن الوقت، وفي كِلا الحالتين يحتضنونَ حقائب أعمالهم كي لا تُمَّس بقطرة ماء، ولا غرابة في فعلهم فقد اعتادوا ذلك.. ومُؤَكدٌ أنَّ نهايةَ الصبر جبر وأنَّ لكُلِّ سعيٍ وصول.

مريم توركان

الفهرس:

الإهداء.....4

1-ناني ونصفها الثاني..... 5

2-دعوني وشأني رجاءً..... 19

3-كراكيب للبيع بسعر زمان..... 27

4-شيءٌ ما كُسِرَ بداخلي..... 33

5-ملكٌ برداء رجل..... 40

6-حينَ التقيتكَ تورد قلبي..... 47

7-قلم وورقة وخمسة جنيه..... 55

8-كوكب آخر..... 64

9-وأخيرًا وجدتني..... 74

10-قلم رصاص..... 81

11-قلب غريب..... 93

12-العدد في الليمون..... 101

13-مسروق.....107

14-ملح رشيد..... 115

15-مذكرات..... 123
16-أبي زيد..... 136
17-صندوق الهدايا..... 143
18-هشام ورد السلام..... 148
19-فأتبعَ سببًا..... 153